أهوال القبور

تأليف
محمد عبد الملك الزغبي

مكتبة الإيمان
المنصورة أمام جامعة الأزهر

أسماء المراجع والمصادر

١ - القرآن الكريم .
٢ - صحيح البخارى .
٣ - صحيح مسلم .
٤ - مسند الإمام أحمد .
٥ - التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة - القرطبى .
٦ - مكاشفة القلوب - لأبى حامد الغزالى .
٧ - إحياء علوم الدين - لأبى حامد الغزالى .
٨ - التبصرة - لإبن الجوزى .
٩ - الروح والنفس - للحافظ أبو عبد الله بن منده .
١٠ - الروح - لإبن القيم الجوزية .
١١ - كشف علوم الآخرة - لأبى حامد .
١٢ - الكبائر - شمس الدين الذهبى الدمشقى .
١٣ - الأحاديث القدسية .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأقر وأذعن بشهادة التوحيد ، شهادة إقرار وإعتراف من عبد ذليل إلى رب جليل قائلاً ... أشهد أن لا إله إلا الله ... كلمة التوحيد والإخلاص ، لا إله إلا الله أتيت بها إلى الدنيا ، لا إله إلا الله أخرج بها من الدنيا ، لا إله إلا الله أدخل بها قبرى ، لا إله إلا الله أبعث بها يوم القيامة ... يوم الحسرة .... يوم التناد ... يوم القارعة ، لا إله إلا الله ألقى بها ربى ، لا إله إلا الله حجتى أمام ربى يوم القيامة . وأشهد أن سيدنا ونبينا وقدوتنا وشفيعنا محمداً عبد الله ورسوله ﷺ .

أمـــا بعــد

فلقد إستخرت الحق سبحانه وتعالى فى كتابة هذا العمل المتواضع بعد إلحاح شديد من الإخوة والأصدقاء والمستمعين لمحاضراتى الدينية ، وآثرت أن أكتبه بأسلوب سهل بسيط حتى يسهل فهمه للعوام ، ويصل إلى مدارك العقول والقلوب دون تعقيد ، ولقد أسميته ، **رحلة حزينة إلى عالم المجهول بين الموتى والقبور** ، رجاء أن آخذ بلب القارىء العزيز إلى هذه الرحلة المبكية إلى عالم الحق المجهول عيانه لدى الأحياء بين الموتى والقبور .

ولقد قمت بتقسيم الكتاب إلى عدة فصول صغيرة ، كما قمت بتبسيط الأدلة التى إستندت إليها من الكتاب والسُنة ، وإجماع

الأمة ، وكذا الآثار ، وأقوال الصالحين . والله أسأل أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم فهو نعم المولى ونعم النصير .

والله الموفق ......

المؤلف

محمد عبد الملك الزغبى

المنصورة فى ١٩٩٢/٣/٣١ م الموافق ٢٧ رمضان ١٤١٢ هـ .

ذكر هادم اللذات

منذ الزمن الغابر السحيق ، والإنسان يفكر ولا يزال في تلك الفلسفة الغريبة « **فلسفة الموت** » ، لقد عرف تاريخ مولده ، ولكن أبداً لا يعرف تاريخ وفاته ، ولا حتى الوسيلة التى بها يموت ، فلقد وقف العربى القديم بفكره حينما ركب جمله وسار به فى الصحراء ، وفجأة سقط الجمل ميتاً ولم يعد للقيام مرة ثانية ، فنزل العربى من فوقه ، وبدأ يتحسس جسد الجمل وأطرافه ، وينظر إلى جوارحه ، فلم يجد شيئاً قد نقص منه ، فأخذ يخاطب جمله قائلاً : أيها الجمل ما أوقعك ؟ ما أسكتك ؟ لِمَ لَمْ تعد تستطيع القيام ؟ ولمّا عجز فكره ترك جمله صريعاً فى الصحراء الشاسعة ، وذهب هو يفكر فى يوم مصرعه وسقوطه مثلما سقط جمله .

لذا فذكر الموت ، والتفكر فيه ، ينقى الروح من أحزان الدنيا ، ويسمو بها إلى عالم الحق والصدق ، ويزرع فيها الخوف من الله ، حتى تزهد كل حقير وتتشهى ما عند الله .

فعن شداد بن أوس قال : قال النبى ﷺ : « **الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله** » [الترمذى] ، وفيه أقوال لعلماء الحديث من حيث التضعيف .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أكثروا ذكر هادم اللذات** » أخرجه النسائى وابن ماجة والترمذى ، وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد بن الحسيب ، عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « **أكثروا من ذكر هادم اللذات** » قلنا يارسول الله : وما هادم اللذات ؟ قال : « **الموت** » .

وحول قوله تعالى : ﴿ **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ... ﴾[1] قال السدى : أى أكثركم للموت ذكراً ، وله أحسن إستعداداً ، ومنه أشد خوفاً وحذراً .

---

(1) الملك : ٢ .

وقال علماؤنا رحمة الله عليهم[1] قوله ﷺ : **« أكثروا ذكر هادم اللذات ... الموت »** كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة ، فإن مَنْ ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة ، ومنعه من تمنيها فى المستقبل ، وزهدة فيما كان منها يؤمل ، ولكن النفوس الراكدة ، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ ، وتزويق الألفاظ ، وإلّا ففى قوله ﷺ : **« أكثروا ذكر هادم اللذات »** مع قوله تعالى : **﴿ كل نفسٍ ذائقة المَوتِ ... ﴾**[2]... ما يكفى السامع له ، ويشغل الناظر فيه ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودى المال والولدُ
لم تغن عن هرمزٍ يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سُليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجن فيما بينهما تردُ
أين الملوك التى كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفدُ ؟
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لابد من ورده يوماً كما وردوا

لذا فذكر الموت يورث الرهبة فى صدر الإنسان ، ويصرفه عن هذه الحياة الفانية ، ويجعله دائم التفكير فى القبر وفى حساب الآخرة .

والمسلم يجب أن يكون على إستعداد تام لملاقاة الموت فى كل حين بل وفى كل لحظة ، لذا فقد فطن بعض الصالحين لذلك قديماً ، فكان إذا أتى الليل صعد سور المدينة ، ونادى بأعلى صوته : الرحيل ... الرحيل ، فلما مات وانتقل إلى القبر ، فقد صوته الحاكم - أمير المؤمنين - فسأل عنه ، فقيل : إنه قد مات . فقال :

مازال يلهج بالرحيل وذكـره ... حتـى أنـاخ ببابـه الجمـالُ
فأصابـه متيقظـاً متشمـراً ... ذا أهبـة لم تلهـه الآمـال

وروى أن عمر بن عبد العزيز كان يجمع العلماء فيتذاكرون الموت ، والقيامة ، والآخرة ، فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

---

(١) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة - القرطبى .
(٢) آل عمران : ١٨٥ .

تفكر يا مغرور فى الموت[1]

فتفكر يا مغرور فى الموت وسكرته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فياللموت من وعد ما أصدقه ، ومن حاكم ما أعدله ، كفى بالموت مقرحاً للقلوب ، ومبكياً للعيون ، ومفرقاً للجماعات ، وهادمًا للّذات ، وقاطعاً للأمنيات ، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك ، وإنتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرك الأخ والصديق ، وأخذت من فراشك وغطائك إلى عرر ، وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومُدر ، فيا جامع المال ، والمجتهد فى البنيان ، ليس لك والله من مال إلّا الأكفان ، بل هى والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب . فأين الذى جمعته من المال ؟ فهل أنقذك من الأهوال ؟ كلا بل تركته إلى من لا يحمدك ، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك ، ولقد أحسن من قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ...** ﴾ أى أطلب فيما أعطاك الله من الدنيا ، الدار الآخرة وهى الجنة ، فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه فى الآخرة ، لا فى الطين والماء والتجبر والبغى ، فكأنهم قالوا : لا تنس أنك تترك جميع مالك إلّا نصيبك الذى هو الكفن ، ونحو هذا قول الشاعر :

نصيبُك مما تجمع الدهر كله ... رداءان تُلْوَى فيهما وحنوط

وقال آخر :

هى القناعة لا تبغى بها بدلاً ... فيها النعيم وفيها راحة البَدَنِ

أنظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القُطن والكفن ؟

ولكى يكثر المرء من ذكر هادم اللذات لابد وأن يزهد فى الدنيا ... ولكن كيف ؟

---

(١) التذكرة للقرطبى – مرجع سابق .

الزهد فى الدنيا

عن زيد بن أرقم قال : كنا مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فدعا بشراب فأتى بماء وعسل ، فلمَّا أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ، ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته ، قال : ثم مسح عينيه ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ... ما أبكاك ؟ قال : كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئاً ، ولم أرَ معه أحداً ، فقلت : يارسول الله ما الذى تدفع عن نفسك ؟ قال : « **هذه الدنيا مثلت لى ، فقلت لها : إليك عنى ، ثم رجعت ، فقالت : إنك إن أفلت منى لم يفلت منى من بعدك** » .

وروى فى الحديث الصحيح أيضاً أن رسول الله ﷺ مر على شاة ميتة فقال : « **أترون هذه الشاة هينة على أهلها ؟** » قالوا : من هوانها ألقوها . قال : « **والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء** » .

وورد كذلك فى الحديث الصحيح « **الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله** » . والدنيا سميت بهذا الإسم لأنها مأخوذة من الدنو ، وهو الشيء الحقير .

وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قسمت الدنيا ثلاثة أجزاء ، جزء للمؤمن ، وجزء للمنافق ، وجزء للكافر ، أمَّا المؤمن فيتزود ، وأمَّا المنافق فيتزين ، وأمَّا الكافر فيتمتع .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى** »[1].

وقال الرسول ﷺ فى الحديث الصحيح : « **إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ؟ إن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب** » .

وقال أيضاً : « **الدنيا حلالها حساب ، حرامها عذاب** » .

---

(١) **فيه أقوال لأهل العلم .**

وقال : « **يقول ابن آدم مالى مالى ... وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت** » .

وقال : « **لا تكثروا من ذكر الدنيا** » .

وقال : « **إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها** » (غير صحيح) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : « **يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها ؟** » فقلت : بلى يارسول الله ، فأخذ بيدى ، وأتى بى وادياً من أودية المدينة ، فإذا مزبلة فيها رؤوس أناس وعذارات وخرق وعظام ، ثم قال : « **يا أبا هريرة ... هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم ، وتأمل كأملكم ، ثم هى اليوم عظام بلا جلد ، ثم هى صائرة رماداً ، وهذه العذارات هى ألوان أطعمتهم إكتسبوها من حيث إكتسبوها ، ثم قذفوها فى بطونهم ، فأصبحت والناس يتحامونها ، وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم ، فأصبحت والرياح تصفقها ، وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون إليها أطراف البلاد ، فمن كان باكياً على الدنيا فليبك** » ، قال : فما برحنا حتى إشتد بكاؤنا [1].

وقال ﷺ : « **الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادى من لا علم له ، وعليها يحسد من لا فقه له ، ولها يسعى من لا يقين له** » فيه أقوال لأهل العلم .

ويُرْوَى أن الله تعالى لمَّا أهبط آدم إلى الأرض قال له : « **ابن للخراب ولد للفناء** » (لم أجد له أصلاً)

وروى أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة ، تحركت معدته لخروج الثفل ، ولم يكن ذلك مجعولاً فى شىء من أطعمة إلا فى هذه الشجرة ، فلذلك نهيا عن أكلها ، فجعل يدور فى الجنة ، فأمر الله تعالى ملكاً يخاطبه ، فقال له : أى شىء تريده ؟ قال آدم : أريد أن أضع ما فى بطنى من الأذى ، فقيل للملك : قل له : فى أى مكان تريد أن تضعه ؟ أعلى الفرش ! أم على السرر أم على الأنهار ! أم تحت ظلال الأشجار ! هل ترى هاهنا مكاناً يصلح لذلك ؟ إهبط إلى الدنيا .

وقال ﷺ : « **المؤمن بين مخافتين ، بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله**

(١) فى إسناده نظر .

صانع فيه ؟ وبين أجل قد بقي لا يدرى ما الله قاضٍ فيه ؟ فليتزود العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن حياته لموته ، ومن شبابه لهرمه ، فإن الدنيا خلقت لكم ، وأنتم خلقتكم للآخرة ، والذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار إلّا الجنة أو النار » فيه نظر .

وقال ﷺ : « **ليجيئن أقوام يوم القيامة ، وأعمالهم كجبال تهامة ، فيؤمر بهم إلى النار** » ، قالوا : يا رسول الله ... مصلين ؟ قال : « **نعم كانوا يصلون ويصومون ، ويأخذون هنة من الليل ، فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه** » .

وسُئل نوح عليه السلام ... فقيل له : يا أطول الأنبياء عمراً ... كيف وجدت الدنيا ؟ فقال : « **كدار لها بابان ، دخلت من أحدهما ، وخرجت من الآخر** » .

وروى أن عيسى عليه السلام قال : « **الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها** » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أكثر ما أخاف عليكم ، ما يخرج الله من بركات الأرض** » ، فقيل : ما بركات الأرض ؟ قال : « **زهرة الدنيا** » فيه نظر عند أهل العلم .

وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام ... يا موسى : مالك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار ، أخرج منها همك وفارقها بعقلك ، فبئست الدار هى إلّا لعامل يعمل فنعمت الدار هى يا موسى .

وقال ﷺ : « **ما الفقر أخشى عليكم ، ولكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم** » .

وقال أبو الدرداء[1] رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة** » . ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه : لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها

---

(١) مكاشفة القلوب – لأبى حامد الغزالى .

ولا راجع إليها إلا مالا بدا لكم منه ولكن غيب عن قلوبكم ذكر الآخرة الأمل ، وصرتم كالذين لا يعلمون ، فبعضكم شر من البهائم التى لا تدع هواها مخافة مما فى عاقبته ، مالكم لا تحابون ولا تناصحون ، وأنتم إخوان على دين الله ، ما فرق بين أهوائكم إلَّا خبث سرائركم ، ولو إجتمعتم على البر لتحاببتم ، مالكم تناصحون فى أمر الدنيا ولا تناصحون فى أمر الآخرة ، ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ، ما هذا إلا من قلة الإيمان فى قلوبكم ، لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة ، لأنها أملك لأموركم ، فإن قلتم حب العاجلة ، غالب فإنا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها ، تكدون أنفسكم بالمشقة والإحتراف فى طلب أمر لعلكم لا تدركونه ، فبئس القوم أنتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فإن كنتم فى شك بما جاء به محمد ﷺ فأتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم ، والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم إنكم تستبينون صواب الرأى فى دنياكم ، وتأخذون بالحزم فى أموركم ، مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك فى وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم ، وعامتكم قد تركوا كثيراً من دينهم ثم لا يتبين ذلك فى وجوهكم ولا يتغير حالكم ، إنى لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضاً بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فأصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الأمل ، وتصافيتم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحنى منكم وألحقنى بمن أحب رؤيته ولو كان حياً لم يصابركم ، فإن كان فيكم خير فقد أسمعتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيراً وبالله أستعين على نفسى وعليكم » .

وعن الحسن قال : رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من إئتمنهم عليها ، ثم راحوا خفافاً . وقال أيضاً : من نافسك فى دينك فنافسه ، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره .

وقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالى عدة مواقف عن الدنيا أسردها بتصرف :

قال ﷺ[1] : « يا معشر إنى قد كبيت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها

(١) هذه الأحاديث التى ذكرها أبو حامد الغزالى غير صحيحة ، وتروى من باب فضائل الأعمال .

بعدى ، فإن من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ، ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورُب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنًا طويلاً » ، وقال أيضاً : « بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعكم فيها الملوك والنساء فلا تنازعوهم الدنيا فإنهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم ، وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة » ، وقال أيضاً : « الدنيا طالبة ومطلوبة ، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه » . وقال موسى بن يسار : قال النبى ﷺ : « إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها » .

وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظلله والجن والإنس عن يمينه وشماله ، فمر بعابد من بنى إسرائيل ، فقال : والله ياابن آدم لقد أتاك الله ملكاً عظيماً ، قال : فسمع سليمان وقال : لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى . وقال ﷺ : « ألهاكم التكاثر . يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت » . وقال ﷺ : « الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له »[1]. وقال ﷺ : « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شىء ، وألزم الله قلبه أربع خصال : همًّا لا ينقطع عنه أبداً وشغلاً لا يتفرغ منه أبداً وفقراً لا يبلغ غناه أبداً وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً » .

وقال داود بن هلال : مكتوب فى صحف إبراهيم عليه السلام ، يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم إنى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك ، وما خلقت خلقاً أهون علىَّ منك ، كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد ، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك ، طوبى للأبرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والإستقامة طوبى لهم ، مالهم عندى

(١) سبق الكلام عليه .

من الجزاء إذا وفدوا إلىَّ من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتى .

وعن الحسن رضى الله عنه قال[1]: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فقال : « **هل منكم من يريد أن يُذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً ، ألا إنه من رغب فى الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ، ومن زهد فى الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علماً بغير تعلم ، وهدى بغير هداية ، ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ، ولا الغنى إلا بالفجر والبخل ، ولا المحبة إلاَّ بإتباع الهوى ، ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة ، وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقاً** » .

□ مـوقـف :

روى أن عيسى عليه السلام إشتد عليه المطر والرعد والبرق يوماً فجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه فوقعت عيناه على خيمة من بعيد ، فأتاها فإذا بها إمرأة فحاد عنها ، فإذا هو بكهف فى جبل فأتاه ، فإذا فيه أسد ، فوضع يده عليه وقال : إلهى جعلت لكل شيء مأوى ، ولم تجعل لى مأوى . فأوحى الله تعالى إليه : مأواك فى مستقر رحمتى ، لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدى ، ولأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام ، اليوم منها كعمر الدنيا ، ولآمرن مناديًا ينادى : أين الزهاد فى الدنيا ؟ زوروا عرس الزاهد فى الدنيا

[لم أجد له أصلاً]

□ موقـف آخـر :

روى عن عماد بن سعيد أنه قال : مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى فى الأفنية والطرق ، فقال : يا معشر الحواريين ... إن هؤلاء ماتوا عن **سخطة**[2] ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا – أى ولو كانوا قد ماتوا موتاً

---

(١) تحمل الإمام أبو حامد الغزالى تخريج هذا الحديث فى «المكاشفة» ، إلا أننا نرى أن فيه نظر «تضعيف» .

(٢) ماتوا من سخطه : أى غضب الله عليهم فسحقهم .

طبيعياً لدفن بعضهم بعضاً فى المقابر بدلاً من الموت فى الطرقات - فقالوا : يا نبى الله وددنا لو علمنا خبرهم . فسأل الله تعالى فأوحى إليه « إذا كان الليل فنادهم يجيبوك ، فلمَّا كان الليل أشرف على نشز ، ثم نادى : يا أهل القرية . فأجابه مجيب : لبيك يانبى الله . فقال : ما حالكم وما قصتكم ؟ قالوا : بتنا فى عافية ، وأصبحنا فى الهاوية . قال : وكيف ذاك ؟ قالوا : بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصى . قال : وكيف كان حبكم للدنيا ؟ قالوا : حب الصبى لأمه إذا أقبلت فرحنا وإذا أدبرت حزنا وبكينا عليها . قال : فما بال أصحابكم لم يجيبونى ؟ قال : لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدى ملائكة غلاظ شداد . قال : فكيف أجبتنى أنت من بينهم ؟ قال : لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم ، فلما نزل بهم العذاب أصابنى معهم ، فأنا حلق على شفير جهنم لا أدرى أنجو منها أم أكبكب فيها . فقال المسيح للحواريين : لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ، ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة » .

وقال عيسى عليه السلام : « **من الذى يبنى على موج البحر داراً ، تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً** » .

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، يا موسى لا تركن إلى حب الدنيا فلن تأتينى بكبيرة هى أشد منها .

ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكى ، ورجع وهو يبكى . فقال موسى : يارب عبدك يبكى من مخافتك . فقال : ياابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا .

وروى أن لقمان عليه السلام قال لابنه : يا بنى إن الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيه ناس كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها الإيمان بالله تعالى ، وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو .

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها فإن عيشها نكد ، وصفوها كدر وأهلها منها على وجل ، إمَّا بنعمة زائلة ، أو بلية نازلة ، أو منية قاضية . قال بعضهم : من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحداً ما يستحق لكنها إمَّا أن تزيد وإما أن تنقص .

وقال أبو حازم : إياكم والدنيا ، فإنه بلغنى أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان مُعظماً للدنيا ، فيقال هذا أعظم ما حقره الله .

وقال أحد الشعراء :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سروراً وأنعماً
كبانٍ بنى بنيانه فأقامه ... فلما إستوى ما قد بناه تهدما

وقيل :

هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى إنتقال
وما دنياك إلا مثل فىء ... أظلك ثم آذن بالزوال

وقيل أيضاً :

هى الدنيا تقول بملء فيها ... حذارى حذارى من بطشى ومن فتكى
فلا يغررك منى إبتسام ... فقولى مضحك والفعل مبكى

وكما قيل :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها ... تنح عن خطبتها تسلم
إن التى تخطب غدارة ... قريبة العرس من المأتم

وقيل أيضاً :

يا راقد الليل مسروراً بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً
أفنى القرون التى كانت منعمة ... كرَّ الجديدين إقبالاً وإدباراً
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك ... قد كان فى الدهر نفاعاً وضرَّاراً
يا من يعانق دنيا لا بقاء له ... يمسى ويصبح فى دنياه سفاراً
هلا تركت من الدنيا معانقة ... حتى تعانق فى الفردوس أبكاراً
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها ... فينبغى لك أن لا تأمن النارا

وقال رجل لعلى رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا . قال : وما أصف لك من دار ... من صح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم ، ومن إفتقر فيها حزن ، ومن إستغنى فيها إفتتن ، فى حلالها الحساب وفى حرامها العقاب ، وفى متشابهها العتاب .

وقال لقمان لابنه : يابنى إنك إستدبرت الدنيا من يوم نزلتها ، وإستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعدت عنها .

وقال داود الطائى : يابن آدم فرحت ببلوغ أملك ، وإنما بلغته بإنقضاء أجلك ، ثم سوَّفت بعملك كأن منفعته لغيرك .

وروى أنه قدم على معاوية رجل من نجران عمره مائتان سنة ، فسأله عن الدنيا كيف وجدها ؟ فقال : سنيات بلاء ، وسنيات رخاء ، يوم فيوم ، وليلة فليلة ، يولد ولد ويهلك هالك ، فلولا المولود لباد الخلق ، ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها ، فقال له : سل ما شئت . قال : عمرٌ مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه . قال : لا أملك ذلك . قال : لا حاجة لى إليك .

وقال بعض الصالحين : الدنيا تبغض إلينا نفسها ، ونحن نحبها ، فكيف لو تحببت إلينا ؟.

وقيل لحكيم : الدنيا لمن هى ؟ قال : لمن تركها . فقيل : الآخرة لمن هى ؟ قال : لمن طلبها .

وقال آخر : الدنيا دار خراب ، وأخرب منها قلب من يعمرها ، والجنة دار عمران ، وأعمر منها قلب من يطلبها .

وروى عن الجنيد أنه قال : وعظ الشافعى أخاً له فى الله ، وخوفه بالله ، فقال : يا أخى إن الدنيا دحض مزلة ، ودار مزلة ، عمرانها إلى الخراب صائر ، وساكنها إلى القبور زائر ، شملها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر مصروف ، الإكثار فيها إعسار ، والإعسار فيها يسار ، فافزع إلى الله ، وارض برزق الله ، لا تتسلف من دار فنائك إلى دار بقائك ، فإن عيشك فىء زائل ، وجدار مائل ، أكثر من عملك وأقصر من أملك .

وقال يحيى بن معاذ الرازى : العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبره قبل أن يدخله ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه .

وقال بعض الصالحين[1]: (يأيها الناس إعملوا على مهل ، وكونوا من الله على رجل ، ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل ، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة ، قد تزخرفت لكم بغرورها ، وفتنتكم بأمانيها ، وتزينت لخاطبها ، فأصبحت كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها عاكفة ، والنفوس لها عاشقة ، فكم من عاشق لها قتلت ، ومطمئن إليها خذلت ، فانظروا إليها بعين الحقيقة ، فإنها دار كحثير بوائقها ، وذمها

(١) مكاشفة القلوب - لأبى حامد الغزالى .

خالقها ، جديدها يبلى ، وملكها يفنى ، وعزيزها يذل ، وكثيرها يقل ، ودها يموت ، وخيرها يفوت ، فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم ، وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل ، أو مدنف ثقيل ، فهل على الدواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل ، فتدعى لك الأطباء ، ولا يرجى لك من الشفاء ، ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ، ثم يقال : قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه ، وعرق عند ذلك جبينك ، وتتابع أنينك ، وثبت يقينك ، وطمحت جفونك ، وصدقت ظنونك ، وتلجلج لسانك ، وبكى إخوانك وقيل لك : هذا إبنك فلان ، وهذا أخوك فلان ، ومنعت من الكلام فلا تنطق ، وختم على لسانك فلا ينطق ، ثم حل بك القضاء ، وانتزعت نفسك من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فاجتمع عند ذلك إخوانك ، وأحضرت أكفانك فغسلوك ، وكفنوك فانقطع عوادك وإستراح حسادك وانصرف أهلك إل مالك ، وبقيت مرتهناً بأعمالك) .

وكتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد فإن الدنيا دار طعن ليست بدار إقامة ، وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فاحذرها ياأمير المؤمنين ، فإن الزاد منها تركها ، والغنى منها فقرها ، لها فى كل حين قتيل ، تذل من أعزها ، وتفقر من جمعها ، هى كالسم يأكله من لا يعرفه وفيها حتفه ، فكن فيها كالمداوى جراحه يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلاً ، ويعبر على شدة الدواء مخافة طول الداء ، فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخدّاعة ، التى قد تزينت بخدعها ، وفتنت بغرورها وحلت بآمالها ، وسوفت بخابها فأصبحت كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها والهة ، والنفوس لها عاشقة ، وهى لأزواجها كلهم قالبة ، فلا الباق بالماضى معتبر ، ولا الآخر بالأول مزدجر ، ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مذكر ، فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ، ونسى المعاد ، فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه ، فعظمت ندامته ، وكثرت حسرته ، واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه ، وحسرات الفوت بغصته ، وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ، ولم يروح نفسه من التعب ، فخرج بغير زاد ، وقدم على غير مهاد ، فاحذرها ياأمير المؤمنين ، وكن إسَّر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها ، فإن صاحب الدنيا كلما إطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى

مكروه ، الضار فى أهلها غار ، والنافع فيها غدّار ضار ، وقد وصل الرخاء منها بالبلاء ، وجعل البقاء فيها إلى فناء ، فسرورها مُشَوَّب بالأحزان ، ولا يرجع منها ماولى وأدبر ، ولا يدرى ماهو آت فينتظر ، أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصفوها كدر ، وعيشها نكد ، وابن آدم فيها على خطر ، إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ، ومن البلاء على حذر ، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبراً ، ولم يضرب لها مثلاً ، لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ ، فمالها عند الله جل ثناؤه قدر ، ومانظر إليها منذ خلقها ، ولقد عرضت على نبيك ﷺ بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها ، إذكره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه ، أو يرفع ما وضعه مليكه فزواها عن الصالحين إختبارا ، وبسطها لأعدائه إغتراراً فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ، ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد ﷺ حين شد الحجر على بطنه . ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لموسى عليه السلام : « **إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته ، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين ، وإن شئت إقتديت بعيسى عليه السلام ، فإنه كان يقول : إدامى الجوع ، وشعارى الخوف ، ولباسى الصوف ، وسراجى القمر ، ودابتى رجلاى ، وطعامى وفاكهتى ما أنبتت الأرض ، أبيت وليس لى شىء ، وأصبح وليس لى شىء ، وليس على الأرض أحد أغنى منى** »[1].

وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون ، قال : « **لا يرد عنكما لباسه الذى لبس من الدنيا فإن ناصيته بيدى ، ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذنى ولا يعجبانكما ما تمتع به منها فإنما هو زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ، فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ، ولكنى أرغب بكما عن ذلك ، فأزدى ذلك عنكما ، وكذلك أفعل بأوليائى إنى لأزودهم عن نعيمها كما يزود الراعى الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة ، وإنى لأُجَنِّبَنهمْ ملاذها كما يجنب الراعى الشفيق إبله من منازل الغرة ، وماذاك لهوانهم علىّ ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالماً موفراً . إنما يتزين**

(١) لم أجد لها أصلا .

(٢) الواضح من الروايتين أنهما نقلا من كتب أهل الكتاب .

لى أوليائى بالذل والخوف والخضوع ، والتقوى تنبت فى قلوبهم ، وتظهر على أجسادهم ، فهى ثيابهم التى يلبسون ، ووقارهم الذى يظهرون ، وضميرهم الذى يستشعرون ، ونجاتهم التى بها يفوزون ، ورجاؤهم الذى إياه يأملون ، ومجدهم الذى به يفخرون ، وسيماهم التى بها يعرفون ، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك ، واعلم أنه من أخاف لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة ، ثم أنا الثائر له يوم القيامة » .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال : أيها الناس إنكم خلقتم لأمر ، إن كنتم تصدقون به فإنكم حمقى ، وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى ، فما خلقتم للأبد ولكنكم من دار تنتقلون ، عباد الله إنكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص ، ومن شرابكم شرق ، ولا تصفوا لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها ، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ، ثم غلبه البكاء ونزل .

وروى أن رجلاً من بنى إسرائيل أتى عيسى عليه السلام وقال له : يانبى الله هل أتبعك فى رحلتى هذه ؟ فأجابه عيسى : « **نعم** » فأخذ ثلاثة أرغفة ومضيا فى رحلتهما حتى أتيا فى مكان بجوار بحر كى يستريحا فأكلا رغيفين وبقى رغيف ، فقام عيسى عليه السلام يغسل يديه فى الماء ثم رجع فلم يجد الرغيف الثالث . فسأل الرجل : أين الرغيف الثالث ؟ فقال الرجل : لا أدرى . فمضى عيسى على الماء يمشى عليه بإذن الله ، وقال له : بحق الذى أمشانى على الماء ، من أكل الرغيف الثالث ؟ قال : لا أدرى . فأخذه عيسى عليه السلام إلى مغارة فى جبل ثم صنع ثلاثة أكوام من الرمل ثم صيرهن ذهباً بإذن الله . فسأل الرجل : لمن هذا ؟ فقال عيسى عليه السلام : « **لى كوم ولك كوم** » . فقال : ولمن الكوم الثالث ؟ فقال عيسى : « **للذى أكل الرغيف الثالث** » . فقال الرجل : أنا الذى أكلت الرغيف الثالث . فقال عيسى عليه السلام : « **خذهم جميعاً** » ، ثم تركه . فمر عليه ثلاث من قطاع الطرق ، فشاهدوا الذهب . فقالوا له : إمَّا أن نقتسم وإمَّا أن نقتلك ، فقال : بل نقتسم ، بشرط أن يذهب أحدكم فيأتى لنا بأشهى الطعام . فوافقوا ، وذهب أحدهم كى يأتى بالطعام ، وبقى إثنان مع الرجل . فقال لهما الرجل : نحن الآن ثلاث يأخذ كل منا كوماً كاملاً ، ولكى يكون هذا ننتظر دخول

الذى يأتى بالطعام نضرب عنقه بالسيف ، ويأخذ كل منّا كوماً كاملاً . وقال الذى ذهب كى يأتى بالطعام فى نفسه ، لماذا لا أحصل على الذهب كاملاً ؟ أنا أضع لهم السم فى الطعام فيأكلوه فيموتوا جميعاً وآخذ الذهب كله . ثم أحضر الطعام ووضع السم فيه وذهب إليهم ، وبمجرد أن دخل المغارة أطاحوا بعنقه ، وبمجرد أن أكلوا الطعام المسموم حتى ماتوا جيمعاك . فأتى عيسى عليه السلام بتلامذته وقال لهم : « **أنظروا هذه هى الدنيا فاحذروها ، مات الرجال وبقى الذهب ، ولا يرث الأرض ومن عليها إلا الله** » .

وروى أن الدنيا تأتى يوم القيامة على هيئة عجوز شمطاء قمطاء ، وتقذف فى النار ، فتقول : يارب .. أشياعى وأتباعى . قال : « **ومن أشياعك وأتباعك ؟** » فتقول : الجبارون والمتكبرون فيؤخذ بهم ، فيقذفون فى النار .

قال ﷺ : « **الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى** » ، [فيه كلام]

يقول ابن بسام :

أفٍ لدنيـــــا ولأيامهـــــا — فـــإنها للحـــزن مخلوقـــة
غمومهـا لا تـنقضى ساعـة — عن ملك فيها ولا سوقـة
ياعجبـــاً منها ومـــن شأنها — عـــدوة للنـــاس معشوقـــة

وقال آخر :

سل الأيام ما فعلت بكسرى — وقـيصر والـقصور وساكـنيها
أمـا إستـدعتهم للـبين طـرًا — فلم تـدع الحليم ولا السفيها

وقال مسعر بن كدام :

نهارك يامغـرور نـوم وغفلـة — وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى — كما غر باللذات فى النوم حالم
وشغلك فيها سوف تكره غبه — كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

وحكى أن ذا القرنين[1] أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شىء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد إحتفروا قبوراً ، فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترى البهائم ، وقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات الأرض ، وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم ، فقال له :

(١) مكاشفة القلوب - لأبى حامد الغزالى ولم أجد لها أصلاً .

أجب ذا القرنين فقال : مالى إليه حاجة ، فإن كان له حاجة فليأتنى ، فقال ذو القرنين : صدق ، فأبل إليه ذو القرنين وقال له : أرسلت إليك لتأتينى فأبيت فها أنا قد جئت ، فقال : لو كان لى إليك حاجة لأتيتك ، فقال له ذو القرنين : مالى أراكم على حالة لم أر أحداً من الأمم عليها ، قال : وماذاك ؟ قال : ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا إتخذتم الذهب والفضة فساتمتعتم بهما ، قال : إنما كرهناهما لأن أحداً لم يُعط منهما شيئاً إلا تاقت نفسه ودعته إلى ماهو أفضل منه ، فقال : مابالكم قد إحتفرتم قبوراً فإذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليته عندها . قال : أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل . قال : وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض ، أفلا إتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها فاستمتعتم بها ؟ قال : كرهنا أن نجعل بطوننا قبوراً لها ، ورأينا فى نبات الأرض بلاغاك ، وإنما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام ، ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة ، فقال : ياذا القرنين أتدرى من هذا ؟ قال : لا ومن هو ؟ قال : ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطاناً على أهل الأرض ، فغشم وظلم وعتا ، فلما رأى الله عمله حتى يجزيه به فى آخرته ، ثم تناول جمجمة أخرى بالية ، فقال : ياذا القرنين ... هل تدرى من هذا ؟ قال : لا أدرى ... ومن هو ؟ قال : هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى مايصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر ، فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل فى أهل مملكته فصاركما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ، ثم أهوى إلى جمجمة ذى القرنين فقال : وهذه الجمجمة قد كانت كهذين ، فانظر ياذا القرنين ما أنت صانع ؟ فقال له ذو القرنين : هل لك فى صحبتى فاتخذك أخاً ووزيراً وشريكاً فيما آتانى الله من هذا المال ، قال : ما أصلح أنا وأنت فى مكان ولا أن نكون جميعاً ، قال ذو القرنين : ولِمَ قال : من أجل أن الناس كلهم لك عدوٌّ ولى صديق ، وقال : ولم وقال يعاودنك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحداً يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشىء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجباً منه ومتعظاً به .

وما أحسن قول القائل :

يامن تمتع بالدنيا وزينتها ولا تنام عن اللذات عيناه

شغلت نفسك فيما ليس تدركه   تقول لله ماذا حين تلقاه

وقول آخر :

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل   وتأخير ذى فضل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائى لهذا رفعتهم   وأهل التقى أبناء ضرتى الأخرى

وقول محمود الباهلى :

ألا إنما الدنيا على المرء فتنة   على كل حال أقبلت أو تولت
فإن أقبلت فاستقبل الشكر دائماً   ومهما تولت فاصطبر وتثبت

المــوت

وعلى المرء أن يتذكر الموت أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله ، فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر أحوالهم ، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم ، وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم ، وكيف أرملوا نساءهم ، وأيتموا أولادهم ، وضيعوا أموالهم ، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ، وإنقطعت آثارهم ، وأنه كيف كان يتردد والاضن قد تهدمت رجلاه ومافصله ، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه ، وكيف كان يضحك ، وقد أكل الدود أسنانه ، وكيف كان يدبر لنفسه مالا يحتاج إليه إلى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاء الموت فى وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك ، وقرع سمعه النداء إمَّا بالجنة وإمَّا بالنار[1].

فتخيل لنفسك ياابن آدم إذا أخذت من فراشك إلى لوح مغتسلك فغسلك الغاسل ، وألبست الأكفان ، وأوحش منك الأهل والجيران ، وبكى عليك الأصحاب والإخوان . وقال الغاسل : أين زوجة فلان ؟ وأين اليتامى ؟ ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبداً[1].

قال أبو العتاهية :

عجبت للإنسان فى فخره   وهو غداً فى قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة   وجيفة آخره يفجر

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٤٣٦) .
(١) التذكرة للقرطبى (٣١ ز ٣٢) .

أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر

وروى أن ابن مطيع نظر إلى داره ذات يوم فأعجبه حسنها ثم بكى فقال : والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ، ثم أخذ يبكى حتى إرتفع صوته بالبكاء .

وروى عن ابن الجوزى أنه قال[1]: كأنك بالعمر قد إنقرض ، وهجم عليك المرض ، وفات كل مراد وغرض ، وإذا بالتلف قد عرض أخاذاً ﴿ **لقد كنت فى غفلة من هذا** ... ﴾[2]. شخص البصر ، وسكن الصوت ، ولم يمكن التدارك للموت ، ونزل بك ملك الموت ، قامت الروح وجازى ﴿ **لقد كنت فى غفلة من هذا** ﴾ عالجت أشد الشدائد فيا عجباً مما تكابد . بلغت الروح إلى التراق ، ولم تعرف اللاق من الساق ، ولم تدر عند الرحيل ماتلاق ، عياذاً بالله عياذاً . ﴿ **لقد كنت فى غفلة من هذا** ﴾ ثم درجوك فى الكفن وحملوك إلى العفن ، على العيب القبيح والأفن ، وصرت فى القبر جذاذاً ﴿ **لقد كنت فى غفلة من هذا** ﴾ .

ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة ، قال له إبنه (ياأبتاه .. إنك لتقول لنا : ليتنى كنت لقيت رجلاً عاقلاً لبيباً عند نزول الموت حتى يصف لى ما يجد ، وأنت ذلك الرجل فصف لى الموت . فقال : يابنى والله كأن جنبى فى تخت ،وكأن السماء قد إنطبقت على الأرض وأنا بينهما ، وكأنى أتنفس من سم إبرة ، وكأن غصن شوك يجذب من قدمى إلى هامتى)[3].

وروى عن وهب بن منبه أنه قال : إن لله منادياً ينادى كل ليلة (ياأبناء الخمسين هلموا للحساب ، ياأبناء الستين ماذا قدمتم وماذا أخرتم ؟ ياأبناء السبعين عدوا أنفسكم فى الموتى) .

وقيل : ينادى منادى كل ليلة (ياأبناء الأربعين هذا وقت جمع الزاد ، وياأبناء الخمسين قد دنا القطف والحصاد ، وياأبناء الستين ويل لكم من العقاب إذا نسيتم الحساب) .

---

(١) التبصرة (٢/٢٧٥) . (٢) ق : ٢٢ .

(٣) التذكرة - للقرطبى .

وثبت عنه ﷺ : « **أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا إنصرفوا عنه** »[1].

وقد شرع النبى ﷺ لأمته إذا سلموا على أهل القبور ، أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين** »[2].

وروى أن أباالدرداء قال عند إحتضاره : (ألا رجل يعمل لمثل مصرعى هذا ؟ ألا رجل يعمل لمثل يومى هذا ؟ وبكى . فقالت له إمرأته : تبكى وقد صاحبت رسول الله ﷺ ؟ فقال : ومالى لا أبكى ولا أدرى علام أهجم - أفر - من ذنوبى ؟) .

ولما حضرت هارون الرشيد منيته قال : أحملونى إلى قبرى ، فحملوه ، فاطلع فيه ، فأخذ يبكى حتى إبتلت لحيته ، ثم قال : يامن لا يزول ملكه ، إرحم من قد زال ملكه .

ودخل المزنى على الشافعى فى علته التى مات فيها ، فقال له : ياأبا عبد الله : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، ولإخوانى مفارقاً ، وبكأس المنية شارباً ، وعلى الله تعالى وارداً ، ولا أدرى نفسى تصير إلى الجنة فأهنئها أم إلى النار فأعزيها ، ثم بكى .

وقيل : إن المؤمن إذا بكى ساعة موته ، فإنما يبكى خوفاً وإنتظاراً لرسول من قبل الله يبشره بالجنة أو النار .

وقال ابن الجوزى : يامطلقاً نفسه فيما يشتهى ويريد ، أذكر عند خطواتك المبدىء المعيد ، وخف قبح ماجرى ، فالملك يرى ، والملك شهيد ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ هلا إستجيب ممن يراك إذا ركبت من هواك ما نهاك ؟ سبتيك والله عيناك ممَّا جنت يداك ، أما تعلم أنه بالمرصاد ؟ فقل لى : أين تحيد و ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ .

وقال أيضاً ابن الجوزى :

ياصاحب الخطايا أين الدموع الجارية ؟ .

يامبارزاً بالقبائح : أتصبر على الهاوية ؟ .

ياناسياً ذنوبه والصحف للمنسى حاوية ، أسفاً لك إذا جاءك الموت وما أنبت .

(١) رواه البخارى - باب الجنائز . (٢) رواه مسلم والنسائى وابن ماجه . وأحمد فى مسنده

واحسرة لك إذا دعيت إلى التوبة فما أجبت ؟ .

كيف تصنع إذا نودى بالرحيل[1].

وروى عن أبى بكر رضى الله عنه قال : **والله مامن نفس تخرج أحب إلَىّ من نفسى هذه ، ولا نفس هذا الذباب الطائر ، ففزع القوم فقالوا : لم ؟** قال : أخاف أن أدرك زماناً لا أستطيع أن آمر فيه بمعروف ، ولا أنهى عن منكر ، وماخير يومئذ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : ياليتنى مكانه** »[2].

وعن ثابت البنانى قال : كان شاب به رهق ، فلما نزل به الموت إنكبت عليه أمه وهى تقول : يابنى قد كنت أحذرك مصرعك هذا ، قال : ياأماه إن لى رباً كثير المعروف ، وإنى لأرجوه اليوم أن لا يعدمنى بعض معروفه .

وقيل يؤت بالرجل يوم القيامة ، فيقال : إنطلقوا به إلى النار . فيقول : يارب فأين صلاتى وصيامى ؟ فيقول الله تعالى : « **اليوم أقنطك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى من رحمتى** » .

وصدق الله : ﴿ **قل ياعِبادى الذين أسرفَوا على أنفُسِهم لا تَقنَطُوا من رحمة الله إن الله يغفرُ الذنُوبَ جميعاً إنه هُو الغفور الرحيمُ** ﴾[3].

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : والله الذى لا إله غيره لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ، وذلك أن الخير بيده . أما من لم يحسن الظن بالله أو كان يُنَفِّرْ ولا يُبشِّر فإن الله يقنطه من رحمته كما كان يقنط عباده .

وقد أنشد بعض الصالحين فى أهل القبور :

قف بالقبور وقل على ساحتها	**من منكم المغمور فى ظلماتها**
ومن المكرم منكم فى قعرهـــا	**قد ذاق برد الأمن من روعاتها**
أمَّا السكون لدى العيون فواحد	**لا يستبين الفضل فى درجاتها**
لو جاوبوك لأخبروك بـألسن	**تصف الحقائق بعد من حالاتها**
أمَّا المطيع فنـازل فى روضة	**يفضى إلى ماشاء من دوحاتها**
والمجرم الطاغــى بها متقـلب	**فى حفرة يـأوى إلى حيـاتها**

(١) التبصرة – لإبن الجوزى (٢٨/١) . (٢) رواه البخارى . (٣) الزمر : ٥٣ .

وعقارب تسعى إليه فروحه ... فى شده التعذيب من لدغاتها

وقال آخر :

أبت نفسى تتوب فما إحتيالى ... إذا برز العباد لذى الجلال
وقاموا من قبورهم سُكارى ... بأوزار كأمثال الجبال
وقد نُصبَ الصراط لكى يجوزوا ... فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن ... تلقاه العرائس بالغوالى
يقول له المهيمن ياوليى ... غفرت لك الذنوب فلا تبالى

وقال بعض الصالحين :

عجبت لجازع ، باكٍ مصاب ... بأهل ، أو حميم ذى إكتئاب
شقيق الحبيب ، داعى الويل ، جهلاً ... كأن الموت كالشىء العجاب
وسوى الله فيه الخلق حتى ... نبى الله منه لم يحاب
له مَلَكٌ ينادى كل يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب

الإستعداد للموت :

عن شداد بن أوس قال : قال النبى ﷺ : « **الكيِّس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله** »[1].

وعنه ﷺ أنه قال : « **كفى بالموت واعظاً ، وكفى بالموت مفرقاً** » .

وقال تعالى : ﴿ **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ..** ﴾[2]. يقول القرطبى : أى أكثركم للموت ذكراً ، وله أحسن إستعداداً ، ومنه أشد خوفاً وحذراً .

روى أن يزيد الرقاشى كان يقول لنفسه : ويحك يايزيد ، من ذا يصلى عنك بعد الموت ؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت ؟ ثم يقول : أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم ؟ من الموت طالبه والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر ... كيف يكون حاله ؟ ثم يبكى حتى يسقط مغشياً عليه .

---

(١) رواه الترمذى . (٢) سورة الملك : ٢

وقال مالك بن دينار :

أتيت القبور فناديتها	**فأين المعظم والمحتقر**
وأين المدل بسلطانه	**وأين المزكى إذا ما افتخر**
تفانوا جميعاً فما مخبر	**وماتوا جميعاً ومات الخبر**
تروح وتغدو بنات الثرى	**فتمحوها محاسن تلك الصور**
سائلى عن أناس مضوا	**أمالك فيما ترى معتبر**

وروى أن الحسن البصرى دخل على مريض يعوده ، فوجده فى سكرات الموت ، فنظر إلى كربه ، وشدة اما نزل به ، فرجع إلى أهله ، بغير اللون الذى خرج به من عندهم فقالوا له : الطعام يرحمك الله . فقال : ياأهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم ، فوالله رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه .

وروى عن أحد الصالحين وكان عالماً عاملاً تقيا ورعاً ، وكان طلاب العلم من الرجال والشباب يشدون الرحال إليه طلباً لعلمه ، وذات يوم نام بعد القيلولة ، فرأى النبى ﷺ فى منامه يبشره بلقاء الله فى الليل - أى الموت - فقام من نومه يستغفر الله ، ويبكى ندماً على ماكان من ذنوب ، وغربت الشمس ، وقلق طلاب العلم عليه ، فاتجهوا إلى بيته ، وجلسوا فى الطرقات والشوارع ، وأرخى الليل سدوله ، فنادى على إبنته الصغيرة ، وقال لها : أين أخوك الأصغر ؟ قالت : نائم ياأبت . فقال لها : أشعلى المصباح ، فاشعلته ، ثم أتى بفأس وأخذ يحفر لنفسه قبراً ، فلما إنتهى من حفره ، جلس على شفيره ، وأخذ يبكى ويقول لنفسه : من الذى سيأتى إليه ملك الموت قابضاً الليلة ؟ من الذى سيغسله الرجال ويكفنوه فى أثواب من قماش ؟ من الذى سيحمله الرجال على الأعناق بعد أن كان حاملاً ؟ من الذى ينتظره القبر المظلم وينادى عليه ؟ من الذى سيكون الدود أنيسه ، والأرض سريره ، والتراب لحافه ، والحجر وسادته ؟ من الذى سينقطع عنه الأهل والأخلاء والأحباب وزاده إلى الله قليل . فبكت إبنته الصغيرة ، وقالت له : أى أبت إلى أين أنت ذاهب ؟ (وكانت زوجته قد ماتت وتركت له الطفلة والطفل ؛ قال : مسافر ياأبنتى إلى مكان بعيد . فقالت : أمثل ما سافرت أمى ؟ قال : نعم . فصرخت الطفلة قائلة : ومن لليتامى تركتهم ياأبت ؟ قال : لله الذى

لا يغفل ولا ينام . ثم خر ساقطاً فى قبره ميتاً ، فصرخت الطفلة ، فدخل الناس والطلاب على الصراخ ، ثم قاموا بغسله وتكفينه .

وصدق القائل :

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت — أن السلامة فيها ترك مافيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها — إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه — وإن بناها بشر خاب بانيها
أين الملوك التى كانت مسلطنة — حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها — ودورنا لخراب الدهر نبنيها

لذا وجب على الحى[1]... أن يعتبر بما صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباء ، بعد أن قاد الجيوش والعساكر ، ونافس الأصحاب والعشائر ، وجمع الأموال والذخائر ، فجاءه الموت فى وقت لم يحتسبه ، وهول لم يرتقبه ، فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ، ودرج من أقرانه ، الذين بلغوا الاضمال وجمعوا الأموال ، كيف إنقطعت أمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترقت فى القبور أجزاؤهم وترمل بعدهم نساؤهم ، وشمل ذل اليتيم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم .

وليتذكر ترددهم فى المآرب ، وحرصهم على نيل المطالب ، وانخداعهم لمؤاتاة الأسباب ، وركونهم إلى الصحة والشباب ، وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم ، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم ، وأنه لابد صائر إلى مصيرهم ، وليحضر قلبه ذكر من كان متردداً فى أغراضه ، وكيف تهدمت رجلاه ، وكان يتلذذ بالنظر إلى ماحوله وقد سالت عيناه ، ويصول ببلاغة نطقه ، وقد أكل الدود لسانه ، ويضحك لمؤاتاه دهره وقد أبلى التراب أسنانه ، وليتحقق أن حاله كحاله ، وماله كماله ، وعند هذا التذكر والإعتبار ، يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ، ويقبل على الأعمال الأخروية ، فيزهد فى دنياه ، ويقبل على طاعة مولاه ، ويلين قلبه ، وتخشع جوارحه .

وصدق القائل :

دقات قلب المرء قائلة له — إن الحياة دقائق وثوانى

(١) التذكرة – للقرطبى .

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكرى للإنسان عمر ثان
واصبر على نعم الحياة وبؤسها نعم الحياة وبؤسها سيان

تلقين المحتضر لا إله إلا الله وما يحدث عند الموت

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« لقنوا موتاكم لا إله إلا الله »**[1].

وعن زيد بن أسلم قال : قال عثمان بن عفان : قال رسول الله ﷺ : **« إذا إحتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله ، فإنه مامن عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة »**[2]. أى لقنوا الميت عند إحتضاره شهادة التوحيد ، لأن العبد الذى يختم قوله فى الدنيا بهذه الشهادة ، تكتب له حُسن الخاتمة ، أى من كان آخر كلامه فى الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة . يؤكد هذا قوله ﷺ : **« من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »**[3]. وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضاً : احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وذكروهم فإنهم يرون مالا ترون .

يقول القرطبى[4]: فإذا تلقنها المحتضر وقالها مرة واحدة - أى إذا تلقن لا إله إلا الله ونطقها مرة واحدة - فلا تعاد عليه ليلاً بفجر ، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين ، والإلحاح عليه إذا هو تلقنها وفهم ذلك عنه ، قال ابن المبارك : لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه . قال أبو محمد عبد الحق ، وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لج عليه بها أن يتبرَّم ويضجر ، ويقلها الشيطان عليه ، فيكون سبباً لسوء الخاتمة ، وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به . قال الحسن بن عيسى : قال لى ابن المبارك : لقنى - يعنى الشهادة - ولا تعد عَلَىَّ إلا أن أتكلم بكلام ثان ، والمقصود أن يموت الرجل وليس فى قلبه إلا الله عز وجل ، لأنه المدار على القلب ، وعمل القلب هو الذى ينظر فيه ، وتكون النجاة به ، وأمَّا حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عمّا فى القلب فلا فائدة فيها ، ولا عبر عندها .

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه ابن أبى الدنيا .
(٣) أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل .
(٤) التذكرة - للقرطبى ص ٣٥ .

روى عن عبد الله بن شبرمة أنه قال : دخلت مع عامر الشعبى على مريض نعوده ، فوجدناه لما به ، ورجل يلقنه الشهادة ويقول له : لا إله إلا الله ، وهو يكثر عليه . فقال له الشعبى : إرفق به ، فتكلم المريض وقال : إن تلقنى أولا تلقنى فإنى لا أدعها ثم قرأ : ﴿ .. **وألزمَهُم كلِمة التقوىٰ وكانوا أحق بها وأهلها** .. ﴾[1] فقال الشعبى : الحمد لله الذى نجى صاحبنا هذا .

وذكر أبو الحسن القابس فى شرح رسالة ابن أبى زيد له ، وكذا ذكر القرطبى فى التذكرة أنه قد روى عن النبى ﷺ : « **أن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان ، الواحد عن يمينه ، والآخر عن شماله ، فالذى عن يمينه على صفة أبيه ، يقول له : يابنى : إنى كنت عليك شفيقاً ولك محباً ، ولكن مت على دين النصرانية فهو خير الأديان ، والذى على شماله على صفة أمه ، تقول له : يابنى : إنه كانت بطنى لك وعاء ، وثدي لك سقاء ، وفخذى لك وطاء ، ولكن مت على دين اليهود فهو خير الأديان . وعند إستقرار النفس فى التراق والإرتفاع تعرض عليه الفتن ، وذلك أن إبليس قد أنفذ أعوانه إلى هذا الإنسان خاصة ، وإستعملهم عليه ووكلهم به ، فيأتون المرء وهو على تلك الحال ، فيتمثلون له فى صورة من سلف من الأحباب الميتين الباغين له النصح فى دار الدنيا ، كالأب والأم ، والأخ والأخت ، والصديق الحميم ، فيقولون له : أنت تموت يافلان ، ونحن قد سبقناك فى هذا الشأن فمت يهودياً فهو الدين المقبول عند الله تعالى ، فإن إنصرف عنهم وأبى ، جاءه آخرون وقالوا له : مِتْ نصرانياً فإنه دين المسيح ، وقد نسخ الله به دين موسى ويذكرون له عقائد كل ملة ، فعند ذلك يزيغ الله من يريد زيغه ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ ربنا لا تُزغ قلوبنا بَعد إذ هديتنا وهَبْ لَنا مِنْ لدُنك رَحمة ... ﴾[2] أى لا تزغ قلوبنا عند الموت وقد هديتنا من قبل هذا زماناً ، فإذا أراد الله بعبده هداية وتثبيتاً ، جاءته الرحمة ، وقيل : هو جبريل عليه السلام فيطرد عنه الشياطين ، ويمسح الشحوب عن وجهه فيبتسم الميت لا محالة ، وكثير من يرى مبتسماً فى هذا المقام فرحاً بالبشير الذى جاءه من الله تعالى ، فيقول : يافلان أما تعرفنى ؟ أنا جبريل ، وهؤلاء أعداؤك من الشياطين ، مِتْ على الملة الحنيفية والشريعة**

(١) الفتح : ٢٦ . (٢) آل عمران : ٨ .

الجليلة ، فما شيء أحب إلى الإنسان وأفرح منه بذلك الملك ، وهو قوله تعالى : ﴿ ... وهَب لَنا مِنْ لدُنك رَحمة إنك أنت الوهاب﴾ ثم يقبض »[1].

وروى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه قال : حضرت وفاة أبى أحمد ، وبيدى الخرقة لأشد لحييه ، فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده : لا وبُعْداً ، لا وبُعْداً ، فعل هذا مراراً ، فقلت له : ياأبت أى شيء ما يبدو منك ؟ فقال : إن الشيطان قائم بحذائى عاض على أنامله يقول : ياأحمد : فتنى ، وأنا أقول : لابعد لا ، كلا وبعداً ، لا بعد لا حتى أموت .

رسل ملك الموت إلى المرء :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **أعذر الله إلى إمرىء أخَّرَ أجله حتى بلغ ستين سنة** »[2].

قال ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبرى : هو الشيب فإنه يأتى فى سن الإكتهال .

قال القاضى منذر بن سعيد البلوطى :

كَمْ تصابى وقد علاك المَشيب ... وتعامى جَهْلاً وأنت اللَّبيبُ
كيف تلْهو وقد أتاك نذير ... وشِبَاكُ الحمام منك قريبُ
يامقيماً قد حان منه رحيلُ ... بعد ذاك الرحيل يومُ عصيبُ
إن للموت سكرة فارتقبها ... لا يداويك إذا أتتك طبيبُ

وقال آخر :

تقول النفسُ غَيِّر لون هذا ... عساك تطيب فى عمر يسير
فقلت لها المشيب نذير عمرى ... ولست مسوداً وجه النذير

وورد فى الخبر[3]: أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت عليه السلام : أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك ؟ قال : نعم ، لى والله رسل كثيرة من العلل ، والأمراض ، والشيب ، والهموم ، وتغير

---

(١) لم أجد لها أصلا فى الحديث .
(٢) رواه البخارى .
(٣) التذكرة – للقرطبى ، روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق – لأبى الفرج بن الجوزى .

السمع والبصر ، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب ... إذا قبضته ناديته : ألم أقدم إليك رسولاً ، ونذيراً بعد نذير ، فأنا الرسول الذى ليس بعدى رسول ، وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير ... فما من يوم تطلع فيه شمس ولا تغرب إلا وملك الموت ينادى :

ياأبناء الأربعين : هذا وقت أخذ الزاد ، أذهانكم حاضرة ، وأعضاؤكم قوية شداد .

وياأبناء الخمسين : قد دنا وقت الأخذ والحصاد .

وياأبناء الستين : نسيتم العقاب ، وغفلتم عن رد الجواب ، فما لكم من نصير : ﴿ ... **أو لم نُعَمّركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النَّذيرُ ...** ﴾[1].

وروى أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام ، فقال : من أنت ؟ فقال : من لا يهاب الملوك ، ولا تمنع منه القصور ، ولا يقبل الرشا ، قال : فإذا أنت ملك الموت . قال : نعم قال : أتيتنى ولم أستعد بعد ؟ قال : ياداود أين فلان قريبك ؟ أين فلان جارك ؟ قال : مات . قال : أما كان لك فى هؤلاء عبرة لتستعد .

□ لذا فالإنسان له نذيران :

النذير **الأول** هو : الرسول ﷺ لقوله تعالى : ﴿ ... **وماكنّا مُعذبين حتى نبعث رسُولاً** ﴾[2].

والنذير **الثانى** هو : الشيب . يقول الله تعالى : ﴿ ... **حتى إذا بلغ أشدَّهُ وبَلَغَ أربعين سنة قال رَبّ أوزعِنى أن أشكُر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىَّ وأن أعملَ صالحاً ترضاهُ ...** ﴾[3]. ويقول الله تعالى أيضا : ﴿ **الله الذى خلَقَكم مِن ضَعفٍ ثم جعل من بعدِ ضعف قُوّة ثم جعل من بعد قُوّةٍ ضعفًا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** ﴾[4].

وفى الحديث القدسى : « **ابن آدم شاب شعرك ، وضعف بصرك ، وإنحنى ظهرك ، ووهن عظمك ، فاستحى منى فإنى أستحى منك** » .

---

(١) فاطر : ٣٧ .

(٢) الإسراء : ١٥ . (٣) الأحقاف : ١٥ . (٤) الروم : ٥٤ .

قال بعض الأعراب .

يابؤس مَنْ فقد الشباب وغيرت ... منــه مفـــارق رأسه بخضاب
يرجو نضارة وجهه بخضابـه ... ومصير كل عمـــارة لخراب
شيئان لو بكت الدِّمَاءُ عليهما ... عينـاى حتى يؤذنا بذهـــاب
إنى وجدت أجل كلّ مصيبة ... فقد الشباب وفرقة الأحبـاب

وروى عن عبد الله بن أبى نوح أنه قال : رأيت كهلاً بمسجد الرسول ﷺ لا يزال ينفض الغبار عن جدرانه بسعفة ، فسألت عنه ، فقيل : إنه من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأن له أولاداً وموالى ونعمة موفورة ، وأنه إطلع فى مرآته فصرخ وجن ولزم المسجد كما ترى وإذا أراد أهله أن يأخذوه ليداووه ويصونوه هرب منهم وعاذ بالقبر المكرم فتركوه[1]، فرقبته نهاراً فلم أرَ منه إختلالاً ، ورقبته ليلاً ، فلما ذهب جنح من الليل خرج من المسجد فتبعته حتى أتى البقيع ، فقام يصلى ويبكى حتى قرب طلوع الفجر ، فجلس يدعو وجاءت إليه دابة لا أدرى أشاة أم ظبية أم غيرها فقامت عنده وتفاجت فالتقم ضرعها فشرب ثم مسح ظهرها وقال : إذهبى بارك الله فيك ، فولت تهرع فانسللت فسبقته إلى المسجد فأقمت ليالى أخرج بخروجه إلى البقيع ولا يشعر بى وسمعته يقول فى مناجاته : اللهم إنك أرسلت إلى و لم تأذن لى ، فإن كنت قد رضيتنى فائذن لى وإن لم ترضنى فوفقنى لما يرضيك قال : فلما حان رحيلى أتيته مودعاً فتهجمنى ، فقلت : أنا صاحبك منذ ليال بالبقيع أصلى بصلاتك ، وأؤمن من على دعائك . قال : هل أطلعت على ذلك أحداً . قلت : لا . قال : إنصرف بشدة . قلت : ما الرسول الذى أرسل إليك و قال : إطلعت فى المرآة فرأيت شيبة فى وجهى ، فعلمت أنها رسول الله إلى . قال : فسألته الدعاء ، فدعا لى ، فأمنت خلفه ، ثم مال فوقع ميتاً . ففطن الناس ، وأهله ، وذووه فجهزوه وصلينا عليه ودفناه .

خروج الروح والتبشير قبل الخروج

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده[2]: أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسحاق الصفار ، أنبأنا أبو النضر هاشم ابن القاسم ،

(١) هذا خطأ شرعى . والقصة موقوفة على من رواها وتعد من الشركيات .
(٢) كتاب « الروح والنفس » . كتاب « الروح » لأبن القيم .

حدثنا عيسى بن المسيب ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ، ولما يلحد ، فجلسنا وجلس ، كأن على أكتافنا فلق الصخر ، وعلى رؤوسنا الطير فأرم قليلاً ، والأرمام السكوت ، فلما رفع رأسه قال : « **إن المؤمن إذا كان فى قبُلٍ من الآخرة ودُبُر من الدنيا وحضره ملك الموت نزلت عليه ملائكة معهم كفن من الجنة ، وحنوط من الجنة ، فجلسوا منه مد البصر ، وجاء ملك الموت فجلس عند رأسه ، ثم قال : أخرجى أيتها النفس المطمئنة ، أخرجى إلى رحمة الله ورضوانه فتنسل نفسه كما تقطر القطرة من المسقاة ، فإذا خرجت نفسه صلّى عليه كل من بين السماء والأرض إلا الثقلين – الإنس والجن – ثم يُصعَدُ به إلى السماء ، فتفتح له السماء ، ويشيعه مقربوها إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة ، إلى العرش مقرّبو كل سماء فإذا إنتهى إلى العرش كتب كتابه فى علين ويقول الرب عز وجل : ردوا عبدى إلى مضجعه فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، وفيها أخرجهم تارة أخرى ، فَيرَدُّ إلى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يثيران الأرض بأنيابهما ، ويفحصان الأرض بأشعارهما فيجلسانه ، ثم يقال له : ياهذا من ربك ؟ فقول : ربى الله . فيقولان : صدقت ، ثم يقال له : مادينك ؟ فيقول : دينى الإسلام . فيقولان : صدقت . ثم يفسح له فى قبره مد بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه ، طيب الريح حسن الثياب ، فيقول : جزاك الله خيراً فوالله ما علمت إن كنت لسريعاً فى طاعة الله بطيئاً عن معصية الله ، فيقول : وأنت جزاك الله خيراً فمن أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، ثم يفتح له باب إلى الجنة فينظر إلى مقعده ومنزله منها حتى تقوم الساعة . وإن الكافر إذا كان فى دُبُر من الآخرة وقبُل من الدنيا وحضره الموت نزلت عليه من السماء ملائكه معهم كفن من النار وحنوط من نار ، قال : فيجلسون منه مد بصره ، وجاء ملك الموت فيجلس عند رأسه ثم قال : أخرجى أيتها النفس الخبيثة ، أخرجى إلى غضب الله ، وسخطه ، فتفرق روحه فى جسده كراهية أن تخرج لما ترى وتعاين ، فيستخرجها كما يستخرج السَّفود من الصوف المبلول ، فإذا خرجت نفسه لعنه كل شىء بين السماء والأرض إلا الثقلين ، ثم يُصعد به إلى السماء فتغلق دونه فيقول**

الرب عز وجل : ردوا عبدى إلى مضجعه فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، فترد روحه إلى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يثيران فى الرض بأنيابهما ويفحصان الأرض بأشعارهما ، أصواتهما كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف ، فيجلسانه ثم يقولان : ياهذا من ربك ؟ فيقول : لا أدرى . فينادى من جانب القبر لا دريت ، فيضربانه بمرذبَّة من حديد لو إجتمع عليها مَنْ بين الخافقين لم تقل ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : جزاك الله شراً فوالله ما علمت إن كنت لبطيئاً عن طاعة الله ، سريعاً فى معصية الله ، فيقول : ومن أنت ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث . ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة »[1].

إن للموت سكرة فارتقبها ... لا يداويك إذا أتتك طبيبُ
ثم تثوى حتى تصير رهيناً ... ثم يأتيك دعوة فتجيبُ
بأمور المعاد أنت عليمُ ... فاعلمن جاهداً لها ياأريبُ
وتذكر يوماً تحاسب فيه ... إن من يذكر الممات ينيبُ
ليس فى ساعة من الدهر إلا ... للمنايا عليك فيها رقيبُ
كل يوم ترميك منها بسهم ... إن يخطىء يوماً فسوف يصيبُ

ويقول أبى عبد الله محمد بن أبى ذمنين :

الموتُ فى كل حين ينشر الكفنا ... ونحن فى غفلة عمَّا يداوينا
لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها ... وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران مافعلوا ... أين الذين هُمو كانوا لنا سكنا
سقاهُمُ الموت كأساً غير صافية ... فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

وروى ابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا : أخرجى أيتها النفس الطيبة ، كانت فى الجسد الطيب ، أخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان وربٍّ راض غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء ، فيُفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقولون : فلان بن فلان . فيقال : مرحباً

(١) رواه الإمام أحمد ومحمود بن غيلان وغيرهما عن أبى النضر .

بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، أدخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان وَربٍّ راض غير غضبان ... فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله تعالى .

فإذا كان الرجل السوء قال : أخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، أخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟: فيقال : فلان . فيقال : لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث . إرجعى ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء ، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر » .

وقد خرج البزار فى مسنده[1]: عن النبى ﷺ قال : « إن المؤمن إذا إحتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر وريحان فتسل كما تسل الشعرة من العجين ويقال : ﴿ يٰأيتها النَّفْسُ المُطمئِنة * ارجِعِى إلىٰ رَبّكِ راضية مرضية ﴾[2] مرضياً عنك إلى روح الله وكرامته ، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطيت عليها الحريرة وذهب بها إلى عليين .

وإن الكافر إذا إحتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة ، فتنزع روحه إنتزاعاً شديداً ، ويقال : أيتها النفس الخبيثة أخرجى ساخطة مسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه ، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ، ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين » .

وعن عبادة بن الصَّامِت عن النبى ﷺ قال : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » .

لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها ... وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران مافعلوا ... أين الذين همو كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأساً غير صافية ... فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

وذكر أبو حامد[3]: (فإذا قبض الملك النفس السعيدة ، تناولها ملكان حسان الوجوه ، عليهما أثواب حسنة ، ولهما رائحة طيبة ، فيلفونها فى حرير

(١) مسند البزار من حديث أبى هريرة .
(٢) الفجر ٢٧ - ٢٨ .
(٣) كشف علوم الآخرة .

من حرير الجنة ، وهى علامة على قدر النحلة ، شخص إنسانى مافقد من عقله ولا من علمه المكتسب له فى دار الدنيا ، فيعرجون بها فى الهواء ، فلا يزال يمر بالأمم السالفة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر ، حتى ينتهى إلى سماء الدنيا ، فيقرع الأمن الباب ، فيقال للأمن : من أنت ؟ فيقول : أنا وهذا فلان معى بأحسن أسمائه وأحبها إليه ، فيقول : نعم الرجل كان فلان ، وكانت عقيدته غير شاك ، ثم ينتهى به إلى السماء ا لثانية ، فيقرع الباب ، فيقال له : من أنت ؟ فيقول مقالته الأولى . فيقولون : أهلاً وسهلاً بفلان . كان محافظاً على صلاته بجميع فرائضها ثم يمر حتى ينتهى إلى السماء الثالثة . فيقرع الباب فيقال له : من أنت ؟ فيقول مقالته الأولى والثانية . فيقال : مرحباً بفلان ، كان يراعى الله فى حق ماله ولا يتمسك منه بشىء ، ثم يمر حتى ينتهى إلى السماء الرابعة ، فيقرع الباب : فيقال : من أنت ؟ فيقول : كدأبه فى مقالته . فيقال : أهلاً بفلان ، كان يصوم فيحسن الصوم ويحفظه من أدران الرفث وحرام الطعام ، ثم ينتهى إلى السماء الخامسة فيقرع الباب . فيقال : من أنت ؟ فيقول كعادته . فيقال : أهلاً وسهلاً بفلان ، أدى حجة الله الواجبة من غير سمعة ولا رياء ، ثم ينتهى إلى السماء السادسة فيقرع الباب . فيقال : من أنت ؟ فيقول الأمين كدأبه فى مقالته . فيقال : مرحباً بالرجل الصالح والنفس الطيبة كان كثير البر بوالديه فيفتح له الباب ، ثم يمر حتى ينتهى إلى السماء السابعة فيقرع الباب . فيقال : من أنت ؟ فيقول الأمين مقالته . فيقال : مرحبا بفلان كان كثير الإستغفار بالأسحار ويتصدق فى السر ويكفل الأيتام ، ثم يفتح له فيمر حتى ينتهى إلى سرادقات الجلال فيقرع الباب فيقال له : من أنت ؟ فيقول الأمين مثل قوله له فيقول : أهلاً وسهلاً بالعبد الصالح والنفس المطمئنة ، كان كثير الإستغفار ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويكرم المساكين ، ويمر بملأ من الملائكة كلهم يبشرونه بالخير ويصافحونه ، حتى ينتهى إلى سدرة المنتهى فيقرع الباب ، فيقال : من أنت ؟ فيقول الأمين كدأبه فى مقالته ، فيقال : أهلاً وسهلاً بفلان ، كان عمله عملاً صالحاً خالصاً لوجه الله عز وجل . (ثم يفتح له فيمر فى بحر من نار ، ثم يمر فى بحر من نور ، ثم يمر فى بحر من ظلمة ، ثم يمر فى بحر من ماء ، ثم يمر فى بحر من ثلج ، ثم يمر به فى بحر من برد ، طول كل بحر ألف عام ، ثم يخترق الحجب المضروبة على

عرش الرحمٰن وهى ثمانون ألفا من السرادقات ، لها شراشيف لكل سرادق ثمانون ألف شرافة على كل شرافة ثمانون ألف قمر ، يهللون لله ويسبحونه ويقدسونه لو برز منها قمر واحد إلى سماء الدنيا لعبد من دون الله ولأحرقها نوراً ، فحينئذ ينادى من الحضرة القدسية من وراء أولئك السرادقات ، من هذه النفس التى جئتم بها ؟ فيقال : فلان ابن فلان فيقول الجليل جلا جلاله : قربوه فنعم العبد كنت ياعبدى ، فإذا أوقفه بين يديه الكريمتين أخجله ببعض اللوم والمعاتبة حتى يظن أنه قد هلك ثم يعفو عنه)[١].

عذاب القبر ونعيمه والملكان :

جاء فى صحيح مسلم وجميع السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال** » .

وجاء فى صحيح مسلم أيضا عن زيد بن ثابت قال : بينما رسول الله ﷺ فى حائط النجار على بغلته ونحن معه إذ حادت به فكادت تُلقيه فإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال : « **من يعرف أصحاب هذه القبور ؟** » فقال رجل : أنا . قال : « **فمتى مات هؤلاء ؟** » قال : ماتوا فى الإشراك . فقال : « **إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فلولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يُسمِعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه** » . ثم أقبل علينا بوجهه فقال : « **تعوذوا بالله من عذاب النار** » . قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، قال : « تعوذوا **بالله من عذاب القبر** » ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : « **تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن** » ، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال : « **تعوذوا بالله من فتنة الدجال** » ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال .

وفى الصحيحين عن أبى أيوب قال : خرج النبى ﷺ وقد جبت[٢]

---

(١) هذه الرواية يتحمل متنها أبو حامد . ومن أول قوله (فيمر فى بحر من نار ، ثم يمر فى بحر من نور ...إلخ) لم أجد له أصلا .
(٢) غابت .

الشمس فسمع صوتاً فقال : « **يهود تعذب فى قبورها** » .

وفى صحيح ابن حبان عن أم مبشر قالت : دخل علىّ رسول الله ﷺ وهو يقول : « **تعوذوا بالله من عذاب القبر** » ، فقلت : يارسول الله ، وللقبر عذاب ؟ قال : « **إنهم ليعذبون فى قبورهم عذاباً تسمعه البهائم** » .

ويقول إبن القيم فى كتابه الروح : وأحاديث المسألة فى القبر كثيرة كما فى الصحيحين والسنن ، عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : « **المسلم إذا سئل فى قبره فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قول الله ﴿ يُثبتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياةِ الدُّنيا وفى الآخِرة ... ﴾**[1] وهذا الحديث رواه أهل السنن والمسانيد مطولاً كما تقدم .

وقد روى أبو هريرة فى المسند وفى صحيح أبى حاتم ، أن النبى ﷺ قال : « **إن الميّت إذا وُضِعَ فى قبره يسمع خلف نعالهم حين يولون عنه فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة ، والمعروف والإحسان عند رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلى مدخل ، ثم يؤتى من يمينه فيقول الصيام : ماقبلى مدخل ، ثم يؤتى من يساره فتقول الزكاة : ما قبلى مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان : ما قبلى مدخل ، فيقال له : إجلس ، فيجلس قد مثلت له الشمس وقد أخذت الغروب ، فيقال له : هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : دعونى حتى أصلى ، فيقولون : إنك ستصلى أخبرنا عما نسألك عنه ، أرأيت هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه وما تشهد عليه ؟ فيقول : محمد أشهد أنه رسول الله جاء بالحق من عند الله ، فيقال له : على ذلك حييت ، وعلى ذلك مِتَّ ، وعلى ذلك تُبْعَثُ إن شاء الله ، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له : هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسروراً ، ثم يُفسح له فى قبره سبعون ذراعاً ، وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدىء منه وتُجْعَل نسمته فى النسم الطيب ، وهى طير معلق فى شجر الجنة** » ، قال : « **فذلك قول الله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾** » ، وذكر فى

(١) إبراهيم : ٢٧ .

الكافر ضد ذلك إلى أن قال : « **ثم يُضيّق عليه فى قبره إلى أن تختلف فيه أضلاعه فتلك المعيشة الضنك التى قال الله تعالى : ﴿ فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾** » .

وفى الصحيحين من حديث قتادة عن أنس أن النبى ﷺ قال : « **إنْ الميت إذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه ، أنه ليسمع خفق نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ؟ فأمَّا المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال : فيقول : أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة** » ، قال رسول الله ﷺ : «**فيراهما جميعاً**» . قال قتادة ، وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً يملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون ، ثم رجع إلى حديث أنس قال : فأما الكافر والمنافق فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى ! كيف أقول ما يقول الناس فيقولان : لا دريت ولا تليت ، ثم يُضرَبُ بمطراق من حديث بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين .

وقال ﷺ : « **يقول القبر للميت حين يوضع فيه ، ويحك ياابن آدم ماغرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود وماغرك بى إذ كنت تمر بى فذاذاً ، فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب للقبر فيقول : أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فيقول القبر : إنى أذاً أتحول عليه خضراً ويعود جسده نوراً ، وتصعد روحه إلى الله تعالى** » – والفذاذ – هو الذى يقدم رِجْلاً ويؤخر أخرى [الحديث فيه كلام] .

وقال عبيد بن عمير الليثى : ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التى يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والإنفراد ، فإن كنت فى حياتك لله مطيعاً كنت عليك اليوم رحمة ، وإن كنت عاصياً فأنا اليوم عليك نقمة ، أنا الذى من دخلنى مطيعاك خرج مسروراً ، ومن دخلنى عاصياً خرج مثبوراً .

وقال البراء بن عازب[1]: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكساً رأسه ثم قال : « **اللهم**

---

(١) مكاشفة القلوب : تحمل إخراجه أبو حامد الغزالى ورواه بمعناه ابن منده من طريق محمد بن سلمة ، وقد جمع الدار قطنى طرقه من مصنف مفرد .

إنى أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً ، ثم قال : إن المؤمن إذا كان فى قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس ، ومعهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره ، فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه ، فإذا صعد بروحه قيل : أى ربِّ عبدك فلان فيقول : أرجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإنى وعدته ﴿ مِنهَا خلقناكم وفيها نُعِيدكم ... ﴾[1] وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولَّوا مدبرين ، حتى يقال : ياهذا من ربك ؟ ما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبى محمد ﷺ قال فينتهرانه إنتهاراً شديداً وهى آخر فتنة تعرض على الميت ، فإذا قال ذلك نادى مناد ... أن قد صدقت ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ يُثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ... ﴾[2] ثم يأتيه آتٍ حسن الوجه ، طيب الريح ، حسن الثياب ، فيقول : أبشر برحمة ربك ، وجنات فيها نعيم مقيم ، فيقول : وأنت فبشرك الله بخير من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، والله علمت أنك كنت سريعاً إلى طاعة الله تعالى ، بطيئاً عن معصية الله ، فجزاك الله خيراً . ثم ينادى منادٍ : أن إفرشوا له من فرش الجنة ، ويفتح له باب إلى الجنة ، فيقول : اللهم عجِّل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى . قال : وأمّا الكافر نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد ، معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وغلقت أبواب السماء ، فليس فيها باب إلا يكرهه أن يدخل بروحه منه ، فإذا صعد بروحه نبذ ، وقيل : أى رَبِّ ... عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض ، فيقول الله عز وجل : أرجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إلى وعدته ﴿ مِنهَا خلَقنَاكم وفيها نُعِيدكم ... ﴾[3] وإنه ليسمع خلف نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال له : ياهذا من ربك ومن نبيك ومادينك ؟ فيقول : لا أدرى ، فيقال له ، فيقال له : لا دريت ثم يأتيه آتٍ قبيح الوجه ، منتن الريح ، قبيح الثياب ، فيقول : أبشر بسخط الله وبعذاب أليم مقيم ، فيقول : بَشَّرَكَ الله بشر من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث والله إن كنت لسريعاً فى معصية الله بطيئاً

---

(١) طه : ٥٥ . (٢) إبراهيم : ٢٧ . (٣) طه : ٥٥ .

عن طاعة الله فجزاك الله شراً ، فيقول : وأنت فجزاك الله شراً ، ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو إجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا ، ولو ضرب بها جبل صار تراباً ، فيضربه ضربة ، فيصير تراباً ثم تعود فيه الروح ، فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرضين ، قال : ثم ينادى منادٍ أن أفرشوا له لوحين من نار وافتحوا لها بابا إلى النار ، فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار » .

● روى أن أخوين كانا يتقاتلان على جدار بينهما ، فأوقع الله لبنة من الجدار ، وأنطقها بإذنه تعالى ، فقالت : فيما تتقاتلان و لم ؟ لقد كنت مَلكًا جبارًا ولمَّا متُّ صرت تراباً ، فأخذنى الخزاف وصنعنى خزفة ، وإشترتها إمرأة ، فوقعت منها فانكسرت فصارت رمادًا – أى صرت رماداً – فأخذنى البناء الذى يبنى الجدار لكما وجعلنى لبنة فى هذا الجدار ، فاتعظ الأخوان .

يقول أحد الصالحين :

تبكى على الدنيا وما من معشر ... جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الأولى ... جمعوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه ... حتى ثوى فحواه لحد ضيق
خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا ... أن الكلام لهم حلال مطلق

ويقول آخر :

وليت الذى بينى وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذى فوق التراب تراب

الروح تعاد بين الكفن والجسد

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال[1]: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم قاعد تلا هذه الآية ﴿ ... ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم ... ﴾[2] قال : « والذى نفس محمد بيده مامن نفس تغادر الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة أو النار ، ثم قال : فإذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين كأن

(١) رواه أبو عبد الله بن منده ... عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس .
(٢) الأنعام : ٩٣ .

وجوههم الشمس ، فينظر إليهم ماترى غيرهم وإن كنتم ترون أنهم ينظرون إليكم مع كل منهم أكفان ، وحنوط ، فإن كان مؤمناً بشروه بالجنة وقالوا : أخرجى أيتها النفس الطيبة إلى رضوان الله وجنته ، فقد أعدّ الله لك من الكرامة ماهو خير من الدنيا ومافيها ، فلا يزالون يبشرونه ويحفون به ، فهم الطف وأرأف من الوالدة بولدها ، ثم يستلون روحه – أى ينتزعونها برفق – من تحت كل ظفر ومفصل ، ويموت الأول فالأول ، ويهون عليه ، وكنتم ترونه شديداً حتى تبلغ ذقنه ، قال : فلهى أشد كراهية للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم ، فيبتدرها كل ملك منهم أيهم يقبضها ، فيتولى قبضها ملك الموت » . ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ قل يتوفاكم مَّلَكُ المَوتِ الذى وُكِّلَ بكم ثمَّ إلى رَبّكم تُرجَعونَ ﴾[1] فيتلقاها بأكفان بيض ، ثم يحتضنها إليه ، فهو أشد لزوقاً لها من المرأة إذا ولدتها ، ثم يفوح منها ريح أطيب من المسك فيستنشقون ريحها ويتباشرون بها ويقولون : مرحباً بالروح الطيبة والروح الطيب ، اللهم صلِّ عليه روحاً وعلى جسد خرجت منه ، قال : فيصعدون بها ولله عز وجل خلق فى الهواء لا يعلم عدتهم إلا هو ، فيفوح لهم منها ريح أطيب من المسك فيصلون عليها ، ويتباشرون ، ويفتح لهم أبواب الساء فيصلى عليها كل ملك فى كل سماء تمر بهم حتى ينتهى بها بين يدى الملك الجبار ، فيقول الجبار جل جلاله : مرحباً بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه ، وإذا قال الرب عز وجل للشيء مرحباً رحب له كل شيء ويذهب عنه كل ضيق ، ثم يقول لهذه النفس المطمئنة : أدخلوها الجنة ، وأروها مقعدها من الجنة ، وأعرضوا عليها ما أعددت لها من الكرامة والنعيم ، ثم إذهبوا بها إلى الأرض فإنى قضيت أنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى . فوالذى نفس محمد بيده لهى أشد كراهية للخروج منها حين كانت تخرج من الجسد وتقول : أين تذهبون بى إلى ذلك الجسد الذى كنت فيه ؟ قال : فيقولون : إنا مأمورون بهذا فلابد لك منه ، فيهبطون به على قدر فراغهم من غسله ، وأكفانه ، فيدخلون ذلك الروح بين جسده وأكفانه » .

---

(١) السجدة : ١١ .

مشاهدة برزخية
لبعض مايحدث فى القبور

ذكر أن بعض الصالحين ماتت أخته وإتجهوا بها لدفنها فى قبرها ، فسقطت حافظة نقوده ولم يتذكرها إلا بعد رجوعه إلى البيت ، فعاد إلى قبر أخته فنبشه كي يأخذ حافظة نقوده ، فرأى القبر يشتعل عليها نارا ، فأغلق القبر وإنصرف إلى أمه ، وسألها : ماذا كانت تفعل أختى ياأماه ؟ قالت : ولم ؟ قال : لأني وجدت قبرها يشتعل عليها نارا . فبكت الأم وقالت : ما كانت تفعل شيئاً غير أنها كانت تتهاون فى صلاتها فتجمع فرضاً مع آخر[1].

وذكر أن الحسن البصرى ، كان يتفقد القبور ذات ليلة ، فوجد إمرأة تبكى بجوار قبر ، ثم رأى حماراً يخرج من هذا القبر يجره زبانى أسود ، وزبانى آخر يضربه ويقول له : إنهق ياحمار ، بعد ذلك رأى الحمار قد دخل القبر والزبانيين يدخلان معه ، وقد أغلق القبر ، فسأل الحسن البصرى : ما قصة هذا الشاب ؟ فقالوا : كان عَاقًا لأمه وكان يشرب الخمر ، وكانت أمه إذا نصحته يقول لها : إنهقى كما ينهق الحمار ، فلما مات صيره الله حمارا ، وكل يوم يخرجه الله من قبره والزبانيان يسحبانه[2].

وقال بعض الصالحين : مات أخ لى فرأيته فى المنام ، فقلت : ما كان حالك حين وضعت فى قبرك ؟ قال : أتانى آتٍ بشهاب من نار فلولا أن داعياً دعا لى لرأيته أن سيضربنى به . والحكايات عن الصالحين بهذا المعنى كثيرة (التذكرة للقرطبى) .

وحكى أن إمرأة أتت إلى الحسن البصرى رحمه الله ، فقالت : إن إبنتى ماتت وقد أحببت أن أراها فى المنام ، فعلمنى صلاة أصليها لعلى أراها ، فعلمها صلاة ، فرأت إبنتها وعليها لباس القطران والغل فى عنقها والقيد فى أرجلها فارتاعت لذلك ، فأعلمت الحسن فاغتم عليها ، فلم تمض مدة حتى رآها

(١) ذكر بنحوه ومعناه فى كتاب الكبائر ، ويتحمل الرواية صاحب « الكبائر » .
(٢) رويت فى كتب كثيره - إلا أننى لم أجد لها أصلا .

الحسن فى المنام وهى فى الجنة على سرير وعلى رأسها تاج فقالت له ياشيخ : أما تعرفنى و قال : لا . قالت له :أنا تلك المرأة التى علمت أمى الصلاة فرأتنى فى المنام . قال لها : فما سبب أمرك ؟ قالت : مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبى ﷺ ، وكان فى المقبرة خمسمائة وستون إنساناً فى العذاب ، فنودى : أرفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبى ﷺ (ذكرها صاحب الإحياء و لم أجد لها توثيقاً) .

يقول أبو بكر عبد الرحمٰن السلمى أحد البلغاء بشرق الأندلس :

أيها الواقف إعتباراً بقبرى إستمع فيه قول عظمى الرميم
أودعونى بطن الضريح وخافوا من ذنوبى وآيسوا من نعيم
قلت : لا تجزعوا على فإنى حسن الظن بالرؤوف الرحيم
ودعونى بما إكتسبت رهيناً غلق الرهن عند مولى كريم

وروى عن الحارث بن نبهان أنه قال : كنت أخرج إلى الجبانات ، فأترحم على أهل القبور ، وأتفكر وأعتبر وأنظر إليهم سكوتاً لا يتكلمون ، ولا يتزاورون ، وقد صار لهم من بطن الأرض وطاء ، ومن ظهرها غطاء ، وأنادى : ياأهل القبور مُحيت من الدنيا آثاركم ، وما مُحيت عنكم أوزاركم ، وسكنتم دار البلاء فتورمت أقدامكم . قال : ثم بكى بكاءً شديداً ، ثم يميل إلى قبة فيها قبر فينام فى ظلها . قال : فبينما أنا نائم إلى جانب القبر إذا أنا بحس مقمعة يضرب بها صاحب القبر ، وأنا أنظر إليه ، والسلسلة فى عنقه ، وقد إزرقت عيناه ، وأسود وجهه وهو يقول : ياويلى ، ماذا حل بى ؟ لو رآنى أهل الدنيا ما إرتكبوا معاصى الله أبداً طولبت والله باللذات فأوبقتنى وبالخطايا فأغرقتنى .. فهل من شافع لى أو مخبر أهلى بأمرى و قال الحارث : فاستيقظت مرعوباً ، وكاد أن يخرج قلبى من هول ما رأيت ، فمضيت إلى دارى ، وبت ليلتى وأنا متفكر فيما رأيت ، فلما أصبحت قلت دعنى أعود إلى الموضع الذى كنت فيه لعلى أجد به أحداً من زوار القبور ، فأعلمه بالذى رأيت . قال : فمضيت إلى المكان الذى كنت فيه بالأمس ، فلم أجد أحداً فأخذنى النوم فنمت ، فإذا أنا بصاحب القبر وهو يُسحب على وجهه ويقول : يا ويلتاه ماذا حل بى ؟ ساء فى الدنيا عملى ، وطال فيها أجلى ، حتى غضب علىَّ ربُّ الأرباب ، فالويل لى إن لم يرحمنى ربى . قال الحارث : فاستيقظت ،

وقد توله عقلى بما رأيت وسمعت ، فمشيت إلى دارى وبت ليلتى ، فلما أصبحت أتيت القبر لعلى أجد أحداً من زوار القبور فأعلمه بما رأيت ، ثم نمت ، فإذا بصاحب القبر قد قرن بين قدميه وهو يقول : ما أغفل أهل الدنيا عنى ، ضوعف علىَّ العذاب ، وتقطعت عنى الحيل والأسباب ، وغضب علىَّ رب الأرباب ، وغلق فى وجهى كل باب ، فالويل لى إن لم يرحمنى ربى العزيز الوهاب . قال الحارث : فاستيقظت من منامى مرعوباً وهممت بالإنصراف ، فإذا بثلاث جوار قد أقبلن فتباعدت لهن عن القبر وتواريت لكى أسمع كلامهن ، فتقدمت الصغرى ووقفت على القبر وقالت : السلام عليك ياأبتاه .. كيف هدوؤك فى مضجعك ؟ وكيف قرارك فى موضعك ؟ ذهبت عنا بودك ، وإنقطع عنا سُؤْلُكَ ، فما أشد حسرتنا عليك ، ثم بكت بكاء شديداً . ثم تقدمت إبنتان فسلمتا على القبر ، ثم قالتا : هذا قبر أبينا الشفيق علينا والرحيم بنا ، آنسك الله بملائكة رحمته ، وصرف عنك عذابه ونقمته ، ياأبتاه : جرت بعدك أمور لوعاينتها لأوهمتك ، ولو إطلعت عليها لأحزنتك ، قال الحارث : فبكيت لما سمعت كلامهن . ثم قمت مسرعاً إليهم ، فسلمت عليهن وقلت لهن : أيتها الجوارى إن الأعمال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها ، فما كان عمل أبيكن المخلد فى هذا القبر الذى عاينت من أمره ما أحزننى ، وأطلعت من حاله ما آلمنى ؟ قال الحارث : فلما سمعن كلامى قلن : وما الذى رأيت أيها العبد الصالح ؟ قلت لهن : لى ثلاث أيام وأنا أختلف إلى هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة فيه . قال : فلما سمعن ذلك منى قلن لى : بشارة ما أضرها ومصيبة ما أحزنها ، نحن نقضى الأوطار ونعمر الديار وأبونا يُحرق بالنار ، فوالله لا قربنا قرار ، ولا ضمتنا للذة العيش دار بل نتضرع للجبار ، فلعله أن يعتق أبانا وينقذه من النار . ثم مضين يتعثرن فى أذيالهن . قال الحارث : فمضيت إلى دارى ، فلما أصبحت أتيت القبر ، فجلست عنده فغلبنى النوم فنمت ، فإذا أنا بصاحبْ القبر له حسن وجمال ، وفى رجليه نعل من ذهب ومعه حور وغلمان . قال الحارث : فسلمت عليه ، وقلت له : رحمك الله من أنت ؟ قال : أنا الرجل الذى عاينت من أمرى ما أحزنك ، وإطلعت منه على ما أفجعك ، فجزاك الله خيراً ، فما أيمن طلعتك على ، فقلت له : وكيف حالك ؟ فقال لى : لما أطلعت على وأخبرت بناتى

بالأمس بحالى أعرين أبدانهن وأسبلن شعورهن وتضرعن لمولاهن ، ومرغن خدودهن فى التراب ، وأهملن دموعهن بالإنسكاب وإستوهبونى من العزيز الوهاب ، فغفر لى الذنوب والأوزار ، وإستنقذنى من النار وأسكننى دار القرار بجوار محمد ، فإذا رأيت بناتى فأعلمهن بأمرى وما كان من قصتى ليزول عنهن روعهن ويفارقهن حزنهن ، وتعلمهن أنى قد صرت إلى جنات وحور ومسك وكافور وعندى غلمان وسرور ، وقد عفا عنى العزيز الغفور . قال الحارث : فاستيقظت فرحاً مسروراً لِمَا رأيت وسمعت ، ثم مضيت إلى دارى وبت ليلتى ، فما أصبحت أتيت القبر فوجدتهن حافيات الأقدام فسلمت عليهن وقلت لهن : أبشرن فقد رأيت أباكن فى خير عظيم وملك مقيم ، وقد أعلمنى أن الله تعالى أجاب دعاءكن ولم يخيب مسعاكن ، وقد وهب لكنّ أباكنّ فاشكرنه على ما أولاكن . قال : فقالت الصغرى : اللهم يامؤنس القلوب وياساتر العيوب وياكاشف الكروب ويغافر الذنوب ويا عالم الغيوب ويامبلغ الأمل المطلوب ، قد علمت ما كان من مسألتى ورغبتى وإعتذارى فى خلوتى وإستقالتى من ذلتى وتنصلى من خطيئتى ، وأنت اللهم تعلم همتى والمُطلع على نيتى والعالم بطويتى ومالك رقبتى والآخذ بناصيتى وغايتى فى طلبتى ، ورجائى عند شدتى ، ومؤنسى فى وحدتى ، وراحم عبرتى ، ومُقيل عثرتى ، ومجيب دعوتى ، فإن كنت قصرت عما أمرتنى وركبت إلى ما عنه نهيتنى فبحلمك حملتنى وبسترك سترتنى ، فبأى لسان أذكرك وعلى أى نعمك أشكرك ضاق بكثرتها ذرعى ، فياأكرم الأكرمين ومنتهى غاية الطالبين ومالك يوم الدين الذى يعلم ماأخفى فى الضمير ويدبر أمر الصغير والكبير ، فإن كنت قضيت الحاجة بفضلك وشفعت دعائى فى عبدك فاقبضنى إليك وأنت على كل شىء قدير ، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليها . قال : ثم قامت الثانية فنادت بأعلى صوتها : يارب فَرّج كربى وخَلّص من الشك قلبى ، يامن أقامنى من صرعتى وأقالنى من عثرتى ودلنى من حيرتى وأعاننى فى شدتى إن كنت قد قبلت دعوتى وقضيت حاجتى وأنجحت طلبتى ، فألحقنى بأختى ثم صاحت صيحة ففارقت الدنيا رحمة الله عليها . قال : ثم قامت الثالثة : فنادت بأعلى صوتها ياأيها الجبار الأعظم والملك الأكرم ، العالم بمن سكت وتكلم ، لك الفضل العظيم والملك القديم والوجه الكريم ، العزيز من أعززته ،

(١) هذه أخطاء شرعية تدل على بطلان الرواية .

والذليل من أذللته ، والشريف من شرفته ، والسعيد من أسعدته ، والشقى من أشقيته ، والقريب من أدنيته والبعيد من أبعدته والمحروم من حرمته ، والرابح من أوهبته والخاسر من عذبته ، أسألك باسمك العظيم ووجهك الكريم وعلمك المكنون الذى بَعُد عن إدراك الأفهام وغمض عن مناولة الأوهام باسمك الذى جعلته على الليل فدجى وعلى النهار فأضاء ، وعلى الجبال فدكدكت ، وعلى الرياح فتناثرت ، وعلى السموات فارتفعت ، وعلى الأصوات فخشعت ، وعلى الملائكة فسجدت ، اللهم إنى أسألك إن كنت قضيت حاجتى وأنجحت طلبتى فألحقنى بصواحباتى ، ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله علينا وعليهم وعلى جميع المسلمين أجمعين .

وروى أن أحد الصالحين إتجه لزيارة أخ له فى الله ، ولما وصل إليه ، قال له صاحبه بنا نعود جاراً لى قد مات أخوه اليوم ،فَاتَّجهاَ إليه ، فوجداه يبكى بكاءً شديداً ، فقالا له : ألا تؤمن بالقدر ، وبأن الموت حق ؟ قال : بلى . فقالا : إذن لم تبك ؟ قال : عندما وضعنا أخى فى قبره ، وانصرف الناس ، وبقيت أنا وحدى ، فقلت لنفسى : لأجلسن بجوار قبره ساعة أونسه ، فبينما أنا متكئ على قبره ، إذ سمعت صوت أخى يصرخ ويبكى ويقول : آه تركونى وحدى أقاسي العذاب . آه قد كنت أصلى ، قد كنت أصوم ، وحججت بيت الله فأخذتنى الشفقة على أخى ، فقمت بنبش قبره حتى فتحته ، فوجدت أخى مطوقاً بعنق من نار - أى عليه طوق من نار - فأردت أن أنتزعه بيدى فاحترقت يدى وهذه هى يدى ، فرآها محروقة . فقالا له : ما كان يفعل أخوك ؟ قال : كان مانعاً للزكاة ع أى كان لا يخرج الزكاة -[1].

وصدق القائل :

قف بالقبور وقل على ساحاتها	**من منكم المغمور فى ظلماتها**
ومن المكرم منكم فى قعرها	**قد ذاق برد الأمن من روعاتها**
أما السكون لذى العيون فواحد	**لا يستبين الفضل فى درجاتها**
لو جاوبوك لأخبروك بألسن	**تصف الحقائق بعد من حالاتها**
أما المطيع فنازل فى روضة	**يفضى إلى ما شاء من دوحاتها**

(١) رويت بمعناها فى كتاب الكبائر - فى باب « الزكاة » .

والمجرم الطاغى بها متقلب في حفرة يأوى إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها

وقال آخر :

أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه وأين المزكى إذا ما إفتخر
تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعاً ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلى عن أناس مضوا أما لك فيما ترى معتبر

● وروى أن عيسى بن مريم عليه السلام مر على المقابر ذات يوم ، فوجد إمرأة تبكى ، فسألها : « **ما يبكيك ياأمة الله ؟** » قالت : ولدى الوحيد قد مات ، وأود أن أراه . قال : « **إتقى الله ياإمرأة** » . قالت : يانبى الله ، أراه وأومن . فدعا عيسى عليه السلام ربه ، فأحياه الله ، فخرج من قبره ، وقد شاب شعره ، وضعف بصره ، وإنحنى ظهره ، ووهن عظمه ، وتبدلت ملامحه . فقالت المرأة : ليس هذا ولدى . فقال لها ولدها : بل أنا ولدك ياأماه . فقالت : وما الذى فعل بك هذا ؟ قال : عندما رأيت من هول القبر وعذابه ياأماه .

لذا صدق القائل :

يمر أقاربى جنبات قبرى كأن أقاربى لم يعرفونى
ذوو الميراث يقتسمون مالى وما يألون إن جحدوا ديونى
قد أخذوا سهامهم وعاشوا فيالله أسرع ما نسونى

وقال أخر :

وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلئن بكيت وفاض دمعى رأت عيناى بينهم مكانى

يقول القرطبى فى « **التذكرة** » : ياهذا ، أين الذى جمعته من الأموال ، وأعددته للشدائد والأهوال ، لقد أصبحت كفك منه عند الموت خالية صفراً ، وبدلت من بعد غناك وعزك ذلا وفقراً ، فكيف أصبحت يارهين أوزاره ، ويامن سلب من أهله ودياره ؟ ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد ، وأقل إهتمامك لحمل الزاد ، إلى سفرك البعيد ، وموقفك الصعب الشديد ، أوما

علمت يامغرور ، أن لابد من الإرتحال ، إلى يوم شديد الأهوال ، وليس ينفعك ثم قيل ولا قال ، بل يعد عليك بين يدى الملك الديان ، ما بطشت اليدان ، ومشيت القدمان ، ونطق به اللسان وعملت الجوارح والأركان ، فإن رحمك فإلى الجنان ، وإن كانت الأخرى فإلى النيران ، ياغافلاً عن هذه الأحوال ، إلى كم هذه الغفلة والتوان ، أتحسب أن الأمر صغير ، وتزعم أن الخطب يسير ؟ وتظن أن سينفعك حالك ، إذا آن إرتحالك ، أو ينقذك مالك ، حين توبقك أعمالك ؟ أو يغنى عنك ندمك ، إذا زلت بك قدمك ، أو يعطف عليك معشرك ، حين يضمك محشرك ، كلا والله ساء ما تتوهم ولابد لك أنك تعلم ، لا بالكفاف تقنع ، ولا من الحرام تشبع ، ولا للعظاة تستمع ، ولا بالوعيد ترتدع ، دأبك أن تنقلب مع الأهواء ، وتخبط خبط العشواء ، يعجبك التكاثر بما لديك ، ولا تذكر ما بين يديك ، يانائماً فى غفلة وفى خبطة يقظان ، إلى كم هذه الغفلة والتوان ، أتزعم أن ستترك سدى ، وأن لا تحاسب غداً ، أم تحسب أن الموت يقبل الرّشا ، أم تميز بين الأسد والرشا ، كلا والله لن يدفع عنك الموت مال ولا بنون ، ولا ينفع أهل القبور إلا العمل المبرور ، فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما إدعى ، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من إرعوى ، ﴿ **وَأن لَيسَ للإنسان إلاَّ مَاسَعَى * وَأن سَعيَه سَوفَ يُرَى** ﴾[1] فإنتبه من هذه الرقدة ، وأجعل العمل الصالح لك عُدَّة ، ولا تتمن منازل الأبرار ، وأنت مقيم على الأوزار ، عامل بعمل الفجار ، بل أكثر من الأعمال الصالحات ، وراقب الله فى الخلوات ، رب الأرض والسماوات ، ولا يغرنك الأمل ، فتزهد عن العمل ، أو ما سمعت الرسول حيث يقول ، لما جلس على القبور « **ياإخوانى لمثل هذا فأعدوا** » أو ما سمعت الذى خلقك فسواك يقول : ﴿ ... **وَتَزَودُوا فإن خيرَ الزَادِ التَّقوَى** ... ﴾[2].

وكان يزيد الرقاشى يقول فى كلامه : أيها المقبور فى حفرته ، المتخلى فى القبر بوحدته ، المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ، ليت شعرى بأى أعمالك إستبشرت ، وبأى أحوالك إغتبطت ، ثم يبكى حتى يبل عمامته ، ويقول :

---

(١) النجم : ٣٩ - ٤٠ .　　(٢) البقرة : ١٩٧ .

إستبشر ، والله بأعماله الصالحة ، وإغتبط ، والله بإخوانه المعاونين له على طاعة الله ، وكان إذا نظر إلى القبر صرخ كما يصرخ الثور .

وصدق القائل :

إن الحبيب من الأحباب مختلس — لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها — يامن يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت ياغافلاً فى النقص منغمساً — وأنت دهرك فى اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته — ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت فى قبر وقفت به — عن الجواب لساناً مابه خرص
قد كان قصرك معموراً له شرف — فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

وقال آخر :

وقفت على الأحبة حين صفت — قبورهم كأفراس الرهان
فلئن بكيت وفاض دمعى — رأت عيناى بينهم مكانى

عذاب القبر حق :

إن بعض الفرق الشاذة تنكر عذاب القبر مثل بعض المعتزلة وغيرهم ، ويقولون بأن العذاب والنعيم إنما هما يوم القيامة وهذا رأى باطل . يقول ابن القيم فى كتاب « **الروح** » : ومما ينبغى أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبِر أو لم يُقْبَرْ ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً أو نسف فى الهواء أو صلب أو غرق فى البحر وصل إلى روحه من العذاب ما يصل إلى القبور .

وعن سمرة بن جندب قال[1]: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال : « **من رأى منكم الليلة رؤيا ؟ فإن رأى أحد رؤيا قصها** » ، فيقول : ما شاء الله ، فسألنا يومً فقال : « **هل رأى منكم أحد رؤيا ؟** » قلنا : لا ، قال : « **لكنى رأيت رجلين أتيانى ، فأخذا بيدى ، وأخرجانى إلى الأرض المقدسة ، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد – أى خشبة فى رأسها عقافة من حديد – يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه ، ثم يفعل بشدقة الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقة هذا فيعود فيصنع مثله ، قلت :**

(١) رواه البخارى فى صحيحه .

ماهذا ؟ قالا : إنطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ، ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فِهْر - الحجر الناعم الصلب - فيشدخ بها رأسه ، فإذا ضربه تدهده الحجر - تدحرج - فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو ، فعاد إليه فضربه . قلت : ما هذا ؟ قالا : إنطلق فانطلقنا إلى نقب مثل التنور ، أعلاه ضيق وأسفله واسع ، يوقد تحته نار ، فإذا فيه رجال ونساء عراة ، فيأتيهم اللهب من تحتهم ، فإذا إقترب إرتفعوا حتى كادوا يخرجوا ، فإذا أخمدت رجعوا ، فقلت : ماهذا ؟ قالا : إنطلق فإنطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة ،فأقبل الرجل الذى فى النهر ، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فرجع كما كان ، فقلت : ماهذا ؟ قالا إنطلق ، فإنطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء ، فيها شجرة عظيمة ، وفى أصلها شيخ وصبيان ، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها ، فصعدا بى الشجرة ، وأدخلانى دارا لم أر قط أحسن منها ، فيها شيوخ وشبان ، ثم صعدا بى فأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل . قلت : طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت ؟ قالا : نعم . الذى رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذبة ، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيصنع به إلى يوم القيامة ، وأما الذى رأيت فى النقب فهم الزناة . والذى رأيته فى النهر فآكل الربا . وأمّا الشيخ الذى رأيته فى أصل الشجرة فإبراهيم والصبيان حوله المؤمنين . وأما الدار فدار : الشهداء ، وأنا جبريل وهذا ميكائيل ، فأرفع رأسك ، فرفعت رأسى فإذا قصر مثل السحابة قالا : ذلك منزلك ، قلت : دعانى أدخل منزلى ، قالا : إنه بقى لك عمر لم تستكمله فلو إستكملته أتيت منزلك » .

قال قائل :

وإذا وليت أمور قوم ليلة   فأعلم بأنك بعدها مسئول
وإذا حُملت إلى القبور جنازة   فاعلمْ بأنك بعدها محمول
ياصاحب القبر المُنقشِ سطحه   ولعله من تحته مغلول

وقال آخر :

تزود من معاشك للمعاد   وقم لله واعمل خير زاد

ولا تجمع من الدنيا كثيراً فإن المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

وقال غيره :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

وقيل :

ولدتك إذ ولدتك أمك باكياً والقوم حولك يضحكون سروراً
فاعمل ليوم تكون فيه إذا بكوا فى يوم موتك ضاحكاً مسروراً

زيارة المقابر
وإستئناس الميت بمن يزوره

روى من حديث عائشة رضى الله عنها ، **أنها قالت** : قال رسول الله ﷺ : « **مامن رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا إستأنس به حتى يقوم** » .

وذكر الفضل بن الموفق قال : كنت آتى قبر أبى المرة بعد المرة ، فأكثر من ذلك ، فشهدت يوماً جنازة فى المقبرة التى دفن فيها ، فتعجلت لحاجتى ولم آته ، فلما كان من الليل رأيته فى المنام ، **فقال** لى : يابنى لِمَ لا تأتينى ؟ قلت له : ياأبت وإنك لتعلم بى إذا أتيتك ؟ **قال** : أى والله يابنى ، لا أزال أطلع عليك حين تطلع من القنطرة حتى تصل إلى ، وتقعد عندى ، ثم تقوم ، فلا أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة .

وروى هشام بن عمار عن صدقة بن خالد ، حدثنا عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر **قال** : حدثنى عطاء الخراسانى ، قال : حدثتنى إبنة ثابت بن قيس بن شماس قالت[1]: لما نزلت ﴿ **يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرفعُوا أصوَاتكم فوقَ صَوتِ النبى** ﴾[2] دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه ففقده رسول الله ﷺ وأرسل إليه يسأله ما الخبر ؟ **قال** : أنا رجل شديد الصوت ، أخاف أن يكون قد حبط عملى ، قال : « **لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير** » ،

(١) الروح - لإبن القيم الجوزية .
(٢) الحجرات : ٢ .

قال : ثم أنزل الله ﴿ **إن الله لا يُحب كل مُختال فخور** ﴾ فأغلق عليه بابه وطفق يبكى ، ففقده رسول الله ﷺ فأرسل إليه ، فأخبره فقال : يارسول الله إنى أحب الجمال ، وأحب أن أسود قومى . فقال : « **لست منهم بل تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة** » ، قالت : فلما كان يوم اليمامة خرج خالد بن الوليد إلى مُسيلمة ، فلما إلتقوا وإنكشفوا قال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة ماهكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ ، ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا ، وقاتلا ، حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ درع له نَفِيسة ، فمر به رجل من المسلمين فأخذها ، فبَينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت فى منامه فقال له : أوصيك بوصية ، فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه ، إنى لما قتلت أمس مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ، ومنزله فى أقصى الناس ، وعند خبائه فرس يستن فى طوله ، وقد كفأ عليه الدرع برمة - قِدر من الحجر - وفوق البرمة رجل ، فأت خالداً فمره أن يبعث إلى درعى فيأخذها ، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ يعنى أبا بكر الصديق ، فقل له إن على من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيقى عتيق ، وفلان ، فأتى الرجل خالداً ، فأخبره ، فبعث إلى الدرع فأتى بها ، وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته ، قال : ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله .
قال قائل :

ضعوا خدى على لحدى ضعوه ... ومن عفر التراب فوسدوه
وشقوا عنه أكفاناً رقاقاً ... وفى الرمس البعيد فغيبوه
فلو أبصرتموه إذا تقضت ... صبيحة ثالث أنكرتموه
وقد سالت نواظر مقلتيه ... على وجناته وانفض فوه
وناداه البلا : هذا فلان ... هلموا فانظروا هل تعرفوه
حبيبكم وجاركم المفدى ... تقادم عهده فنسيتموه

وقال آخر :

أرى أهل القصور إذا أميتوا ... بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخراً ... على الفقراء حتى فى القبور
لعمرك لو كشفت التراب عنهم ... فما تدرى الغنى من الفقير
ولا الجلد المباشر ثوب صوف ... من الجلد المباشر للحرير

إذا أكل الثرى هذا وهذا فما فضل الغنى على الفقير ؟

وقال بعض الصالحين :

ألا ياعين ويحك أسعديني بغزر الدمع فى ظلم الليالى
لعلك فى القيامة أن تفوزى بخير الدار فى تلك العلالى

ما ينجى من عذاب القبر

عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن سمرة ، قال :[1] خرج علينا رسول الله - ﷺ - ونحن فى صفة بالمدينة ، فقام علينا فقال « **إنى رأيت البارحة عجباً ! رأيت رجلا من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه برِه بوالديه فرد ملك الموت عنه ، ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاء ذكر الله فطَيَّرَ الشياطين عنه ، ورأيت رجلاً من أمتى يلهث عطشاً كلما دنا من حوض مُنِعَ وَزْدَّ فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه ، ورأيت رجلاً من أمتى ورأيت النبيين جلوساً حلقاً حلقاً ، كلما دنا إلى حلقة طرد ومنع ، فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبى ، ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحير فيه ، فجاءه حِجُّهُ وعُمرته فإستخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور ، ورأيت رجلاً من أمتى يتقى وهج النار وشررها فجاءته صدقته ، فصارت ستراً بينهوبين النار وظلا على رأسه ، ورأيت رجلاً من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت : يامعشر المؤمنين إنه كان وَصولاً لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم ورأيت رجلاً من أمتى قد إحتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخلهم فى ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلاً من أمتى جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حُسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل ، ورأيت رجلاً من أمتى قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عزّ وجلّ فأخذ صحيفته فوضعها فى عينيه ، ورأيت رجلاً من أمتى خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا**

---

(١) قال الحافظ أبو موسى : هذا حديث حسن جداً - رواه عن سعيد بن المسيب ، وعمر بن ذر وعلى بن زيد بن جدعان .

ميزانه ، ورأيت رجلاً من أمتى قائماً على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلاً من أمتى قد هوى فى النار فجاءته دمعته التى قد بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك ، ورأيت رجلاً من أمتى قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة (ورقة النخل اليابسة) فى ريح عاصف فجاءه حُسن ظنه بالله عز وجل فسكن روعه ومضى، ورأيت رجلاً من أمتى يزحف على الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته فأقامته على قدميه وأنقذته ، ورأيت رجلاً من أمتى إنتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة » .

حسن الظن بالله تعالى

عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاثة أيام : « **لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله** »[1].

وزاد ابن أبى الدنيا : فإن قوماً أرداهم ظنهم بالله ، فقال لهم تبارك تعالى : ﴿ **وذَلِكم ظَنُّكُمُ الذى ظَنَنتُم بِرَبِّكم أردَاكم فأصبَحتُم منَ الخاسرين** ﴾[2].

ونقل القرطبى : حدثنا أبو بكر بن سابق الأموى ، قال أبو مالك الجنبى عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يذكر من مناجاة موسى عليه السلام أنه قال : « **ياموسى إنه لن يلقانى عبد لى فى حاضر القيامة إلا فتشته عما فى يديه إلا ما كان فى الورعين فإنى أستحييهم وأجلهم فأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب** » (ضعيف) .

وعن رسول الله ﷺ فيما يروى عن رب العزة فى الحديث القدسى : « **أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته مُهرولاً ، وما تقرب إلَّى عبدى بشىء أحب إلى مما إفترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى**

(١) أخرجه البخارى. (٢) فصلت : ٢٣ .

عليها ، وكنت له نوراً ، وبعزتى وجلالى لئن سألنى لأعطيته ، ولئن إستعاذنى لأعيذنه » .

وعن الحسن أنه قال : بلغنى عن رسول الله ﷺ أنه قال[1]: « **قال ربكم عز وجل : لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين . فمن خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة ، ومن أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة** » .

وذكر ابن ماجه ، عن أنس : أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال : « **كيف تجدك ؟** » فقال : أرجو الله يارسول الله وأخاف ذنوبى . فقال رسول الله ﷺ : « **لا يجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف** »[2].

وروى عن ابن عمر أنه قال : عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه ... حُسن الظن بالله ، فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله دخل الجنة مدلاً – أى منبسطاً لا خوف عليه –.

وقال عبد الله بن مسعود : والله الذى لا إله غيره ، لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله ، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة** » .

وقال ثابت البنانى : كان شاب به رهق فلما نزل به الموت إنكبت عليه أمه وهى تقول : يابنى قد كنت أحذرك مصرعك هذا . قال : ياأماه إن لى رباً كثير المعروف ، وإنى لأرجو اليوم أن لا يعدمنى بعض معروفه . فقال ثابت : (فرحمه الله بحسن ظنه بالله فى حالته تلك) – الله أعلم أرحم أم لا .

وذكر الطبرى : كان يحى بن زكريا إذا لقى عيسى بن مريم عليهما السلام عبس ، وإذا لقيه عيسى تبسم ، فقال له عيسى : « **تلقانى عابسا كأنك آيس ؟** » فقال له يحى : « **تلقانى ضاحكاً كأنك آمن ؟** » فأوحى الله تبارك وتعالى إليهما : « **إن أحبكما إلى أحسنكما ظناً بى** » .

وصدق القائل :

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم

(١) ذكره الترمذى الحكيم فى (نوادر الأصول) .
(٢) أخرجه الترمذى وقال : هذا حديث حسن غريب .

إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم أنى مسلم

وقال زيد بن أسلم : يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيقال : إنطلقوا به إلى النار ، فيقول : يارب فأين صلاتى وصيامى ؟ فيقول الله تعالى : « **اليوم أقنطك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى من رحمتى** » وصدق الله حيث يقول : ﴿ ... **وَمَن يَقنط مِن رَحمَة رَبّه إلا الضالُّونَ** ﴾[1].

وروى عن أحد الصالحين أنه قال : بينما كنت أمضى فى أحد شوارع المدينة ذات يوم ، إذ رأيت جنازة يحملها أربعة من الرجال فقط ، فتعجبت وقلت ، والله لأكونن خامسهم حتى آخذ الثواب ، وإتجهت إليهم وسألتهم : ما الخبر و قالوا : لا ندرى .... غير أن إمرأة إكترتنا بالأجرة لنحمل ولدها الوحيد . قال : فنظرت خلفى ، فرأيت عجوزاً وقوراً تبكى خلفنا ، ولما وضعناه فى قبره ، وتركه الرجال ، وقفت أنظر ، فرأيت العجوز قد وقفت على القبر ، ورفعت يديها تجاه السماء ، وأخذت تدعو وتبكى ، وفجأة سقطت مغشياً عليها ، وبعد لحظات قامت وهى تبتسم والنور يعلو ثغرها ، فاقتربت منها ، وسألتها : ما الخبر ؟ فقالت : كان هذا ولدى الوحيد ، وكان شاباً ، ما تورع عن فعل معصية إلا وعملها ، ولمَّا مرض مرض الموت ، أوصانى قائلاً : أماه ... إذا أنا مت فلا تجعلى أحداً من أهلى ولا من أقاربى يمشون فى جنازتى لأنهم لن يترحموا علىَّ ، وكانوا لا يأمروننى بمعروف ، ولا ينهوننى عن منكر ، أماه ... إذا أنا مت ، فضعى خدِى على التراب ، ثم ضعى قدمك على الخد الآخر ، ثم قولى : هذا جزاء من عصى الله وخالف أمر مولاه . أماه .... إذا وضعتمونى فى قبرى ، وأغلقتم على القبر ، فقفى على قبرى ثم إدعى الله لى ، عله أن يستجيب دعاءك فيرحمنى . قالت : ففعلت هذا ... فبينما أنا أدعو الله على قبره وأبكى وأرجو الله إذ سمعت صوت ولدى قادماً بصوت فصيح صريح يقول : إنصرفى ياأماه فإنى قابلت ربى فوجدته كريماً غير غضبان على . كريماً غير غضبان على .

وأخرج البخارى فى صحيحه ، من كتاب بدء الخلق (١٦٩/٤) : حدثنا

(١) الحجر : ٥٦ .

موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانه ، حدثنا عبد الملك ، عن رَبْعى بن حَراش ، قال : قال عقبة بن عمرو لحذيفة : ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ قال : إنى سمعته يقول : « **إن مع الدجال إذا خرج ماءً وناراً ، فأما الذى يرى الناس أنها النار ، فماء باردٍ ، وأما الذى يرى الناس أنه ماء بارد ، فنار تحرق ، فمن أدرك منكم ، فليَقعْ فى الذى يرى أنها نار ، فإنه عذب بارد** » . قال حذيفة : وسمعته ﷺ يقول : « **إن رجلاً كان فيمن كان قبلكم ، أتاه الملك ليقبض روحه ، فقيل له : هل عملت من خير ؟ قال : ما أعلم ؟ قيل له : أنظر ، قال : ما أعلمُ شيئاً ، غير أنى كنت أبايع الناس فى الدنيا ، وأجازيهم ، فأنظِرُ الموسِرَ ، وأتجاوز عن المعسر ، فأدخله الله الجنة** » . قال : وسمعته ﷺ يقول : « **إن رجلاً حضره الموت ، فلما يئس من الحياة ، أوصى أهله إذا أنا مت ، فاجمعوا لى حطباً كثيراً ، وأوقدوا فيه ناراً ، حتى إذا أكلت لحمى ، وَخلصتْ إلى عظمى ، فامتشحت ، فخذوها ، فاطحنوها ، ثم إنظروا يوماً راحاً ، فاذروه فى اليم ، ففعلوا ، فجمعه الله ، فقال له : لِمَ فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك ، فغفر الله له** » . قال عقبة بن عمرو : أنا سمعته يقول ذلك ، وكان نباشاً .

هل يشعر الأموات بزيارة الأحياء وسلامهم ؟

يقول إبن القيم الجوزية فى كتابه « **الروح** » : ويكفى فى هذا تسمية المُسلم عليهم زائراً ، ولولا أنهم يشعرون به لما صح تسميته زائراً ، فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال زاره ، هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم ، وكذلك السلام عليهم أيضا ، فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال .

وقد علم النبى ﷺ أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا : « **سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منَّا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية** »[1] وهذا السلام ، والخطاب ، والنداء ، لموجود يسمع ، ويخاطب ، ويعقل

(١) رواه مسلم فى الجنائز (١٠٣) ، والنسائى فى الجنائز (١٠٣) ، وابن ماجه فى الجنائز (٣٦) ، وأحمد فى مسنده (٣٠٠/٢) ، وكذا ذكره إبن القيم الجوزيه فى (الروح) .

ويرد ، وإن لم يسمع المسلم الرد ، وإذا صلى الرجل قريباً منهم شاهدوه ، وعلموا صلاته ، وغبطوه على ذلك .

عن أبى عثمان النهدى : أن ابن ساس خرج فى جنازة فى يوم وعليه ثياب خفاف ، فانتهى إلى قبر ، قال : فصليت ركعتين ثم إتكأت عليه ، فوالله إن قلبى ليقظان إذ سمعت صوتاً من القبر : (إليك عنى لا تؤذنى فإنكم قوم تعملون ولا تعلمون ، ونحن قوم نعلم ولا نعمل ، ولأن يكون لى مثل ركعتيك أحب إلى من كذا وكذا) .

وعن زيد بن وهب قال : خرجت إلى الجبانة فجلست فيها ، فإذا رجل قد جاء إلى قبر فسواه ، ثم تحوَّل إلىَّ فجلس ، فقلت : لمن هذا القبر ؟ قال : أخ . فقلت : أخ لك ؟ فقال : أخ لى فى الله رأيته فيما يرى النائم ، فقلت : فلان عشتَ الحمد لله رب العالمين . قال : قد قلتها ، لأن أقدر على أن أقولها أحب إلى من الدنيا ومافيها ، ثم قال : ألم تَرَ حيث كانوا يدفنوننى ، فإن فلاناً قام فصلى ركعتين ، لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلى من الدنيا ومافيها .

وعن الفضل بن موفق إبن خال سفيان بن عيينة ، قال : لما مات أبى جزعت عليه جزعاً شديداً ، فكنت آتى قبره فى كل يوم ، ثم قصرت عن ذلك ما شاء الله ، ثم إنى أتيته يوماً ، فبينما أنا جالس عند القبر غلبتنى عيناى فنمت ، فرأيت كأن قبر أبى قد إنفرج ، وكأنه قاعد فى قبره متوشحاً أكفانه ، عليه سحنة الموتى – هيأة الموتى – قال : فكأنى بكيت لما رأيته ، قال : يابنى ما أبطأ بك عنى و قلت : وإنك لتعلم بمجيئى ؟ قال : ما جئت مرة إلا علمتها ، قد كنت تأتينى فأنس بك ، وأسر بك ، ويُسَرُّ مَنْ حولى بدعائك . قال : فكنت آتيه بعد ذلك كثيراً .

وعن بشر بن منصور قال : لما كان زمن الطاعون ، كان رجل يتخلف إلى الجبانه ، فيشهد الصلاة على الجنائز ، فإذا أمسى ، وقف على باب المقابر فقال : آنس الله وحشتكم ، ورحم غربتكم ، وتجاوز عن مسيئكم ، وقبل حسناتكم ، لا يزيدعلى هؤلاء الكلمات . قال : فأمسيت ذات ليلة وإنصرفت إلى أهلى ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو ، قال : فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاءونى ، فقلت : ما أنتم وما حاجتكم ؟ قالوا : نحن أهل المقابر .

قلت : ما حاجتكم ؟ قالوا : إنك عودتنا منك هدية عند إنصرافك إلى أهلك ، فقلت : وماهى ؟ قالوا : الدعوات التى كنت تدعو بها ، قال : قلت فإنى أعود لذلك ، قال : فما تركتها بعد .

وعن عثمان بن سودة الطفاوى قال : وكانت أمه من العابدات ، وكان يقال لها راهبة قال : لما إحتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت : ياذخرى وياذخرتى ومن عليه إعتمادى فى حياتى وبعد موتى ، لا تخذلنى عند الموت ، ولا توحشنى فى قبرى . قال : فماتت ، فكنت آتيها فى كل جمعة ، فأدعو لها ، وأستغفر لها ولأهل القبور ، فرأيتها ذات يوم فى منامى ، فقلت لها : ياأماه كيف أنت ؟ قالت : أى بُنى إن للموت لكربة شديدة ، وإنى بحمد الله لفى برزخ محمود نفترش فيه الريحان ، ونتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور ، فقلت لها : ألك حاجة ؟ قالت : نعم . قلت : وماهى ؟ قالت : لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا والدعاء لنا ، فإنى لأُبشَّر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك . يقال لى : ياراهبة : هذا إبنك قد أقبل ، فأُسَر ، ويُسر من حولى من الأموات .

قال ابن عبد البر : ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « **مامن مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا ، فيسلم عليه ، إلا ردَّ الله عليه روحه ، حتى يرد عليه السلام** » . فهذا نص فى أنه يعرفه بعينه ويرد السلام .

وفى الصحيحين ، عنه ﷺ ، من وجوه متعددة ، أنه مَرَّ بقتلى بدر فألقوا فى قليب ، ثم جاء حتى وقف عليهم ، وناداهم بأسمائهم : « **يافلان ابن فلان ، ويافلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقاً** » .. فقال له عمر : يارسول الله ما تخاطب من أقوام قد جُيِّفُوا . فقال ﷺ : « **والذى بعثنى بالحق ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون جواباً** » .

وثبت عنه ﷺ : « **أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا إنصرفوا عنه** »[1].

وقد شرح النبى ﷺ لأمته ، إذا سلموا على أهل القبور ، أن يسلموا

---

(١) رواه البخارى فى باب الجنائز (٦٨) .

عليهم سلام من يخاطبونه فيقول : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين** »[1].

وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك ، لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد .

والسلف[2] مجمعون على هذا ، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحى ويستبشر به .

أرواح الموتى هل تتلاقى وتتزاور ؟

إن الأرواح قسمان : أرواح معذبة ، وأرواح منعمة . فالمعذبة فى شغل بما هى فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى . والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا وما يكون من أهل الدنيا ، فتكون كل روح مع رفيقتها الذى هو على مثل عملها ، وروح نبينا محمد ﷺ فى الرفيق الأعلى .

قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** ﴾[3] وهذه المعية ثابتة فى الدنيا وفى دار البرزخ ، وفى دار الجزاء ، والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاث .

وقال الشعبى : جاء رجل من الأنصار وهو يبكى إلى النبى ﷺ فقال : « **ما يبكيك يافلان ؟** » فقال : يانبى الله ، والله الذى لا إله إلا هو لأنت أحب إلى من أهلى ومالى ، والله الذى لا إله إلا هو لأنت أحب إلى من نفسى ، وأنا أذكرك أنا وأهلى فيأخذنى كذا حتى أراك ، فذكرت موتك وموتى ، فعرفت أنى لن أجامعك – لن أجمع معك رؤية – إلا فى الدنيا ، وإنك ترفع بين النبيين ، وعرفت أنى إن دخلت الجنة كنت فى منزل أدنى من منزلك ، فلم يرد النبى ﷺ شيئاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وكفى بالله عليما** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **يٰأَيَّتُها النَّفسُ**

---

(1) رواه مسلم ، والنسائى ، وابن ماجة ، وأحمد فى مسنده .

(2) أقر بذلك ابن القيم الجوزية فى (الروح) .

(3) الروح لابن القيم الجوزية . (2) النساء : ٦٩ .

المُطمَئِنَّة * ارجِعِي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرضِيَّةً * فادخلِي فى عبادى * وَادخلِى جَنَّتِى ﴾[1]. أى أدخلى جملتهم وكونى معهم ، وهذا يقال للروح عند الموت .

وفى قصة الإسراء : من حديث عبد الله بن مسعود قال : لما أُسْرِى النبى ﷺ لقى إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فتذاكروا الساعة ، فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ، ثم بموسى فلم يكن عنده منها علم ، حتى أجمعوا الحديث إلى عيسى ، فقال عيسى : « **عهد الله إلى فيما دون وجبتها فذكر خروج الدجال** » ، قال : « **فأهبط فأقتله ، ويرجع الناس إلى بلادهم ، فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فلا يمرون بماء إلا شربوه ، ولا يمرون بشىء إلا أفسدوه ، فيجأرون إلى فأدعو الله فيميتهم ، فتجأر الأرض إلى الله من ريحهم ، ويجأرون إلى فأدعو ويرسل الله السماء بالماء فيحمل أجسامهم فيقذفها فى البحر ، ثم ينسف الجبال ويمد الأرض مد الأديم ، فعهد الله إلى إذا كان كذلك فإن الساعة من الناس كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلا أو نهاراً** »[1].

وهذا نص فى تذاكر الأرواح العلم : وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل . وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاث أوجه :

أحدهما : أنهم عند ربهم يرزقون ، وإذا كانوا أحياء فهم يتلاقون .

الثانى : أنهم إنما إستبشروا بإخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم .

الثالث : أن لفظ يستبشرون يفيد فى اللغة أنهم يبشر بعضهم بعضاً مثل يتباشرون .

وقد تواترت المرائى بذلك فمنها ما ذكره صالح بن بشير قال : رأيت عطاء السلمى فى النوم بعد موته ، فقلت له : يرحمه الله ، لقد كنت طويل الحزن فى الدنيا ، فقال : أما والله لقد أعقبنى ذلك فرحاً طويلاً وسروراً دائماً ،

(١) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .   (٢) ذكره الحاكم والبيهقى ... إلخ .

فقلت : فى أى الدرجات أنت ؟ قال : مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وقال عبد الله بن المبارك : رأيت سفيان الثورى فى النوم فقلت له : مافعل الله بك ؟ قال : لقيت محمداً وحزبه .

وقال صخر بن راشد : رأيت عبد الله بن المبارك فى النوم بعد موته ، فقلت : أليس قد مِتَّ ؟ قال : بلى . قلت : فسفيان الثورى ؟ قال : بخ بخ ذاك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وذكر إبن أبى الدنيا من حديث سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، قال : أهل القبور يتوكفون الأخبار ، فإذا أتاهم الميت قالوا : مافعل فلان ؟ يقول : صالح . ما فعل فلان ؟ يقول صالح ما فعل فلان ؟ فيقول : ألم يأتكم أو ما قدم عليكم ؟ فيقولون : لا . فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سُلِكَ به غير سبيلنا .

وذكر معاوية بن يحى ، عن عبد الله بن سلمة أن أبارهم المسمعى حدثه أن أباأيوب الأنصارى حدثه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن نفس المؤمن إذا قبِضَتْ تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا ، فيقولون : أنظروا أخاكم حتى يستريح ، فإنه كان فى كرب شديد ، فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله قال : فإنه قد مات قبلى . قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية ، فبئست الأم وبئست المربية** » .

وذكر إبن أبى الدنيا من حديث حماد بن زيد ، عن هشام بن حسان ، عن يقظة بنت راشد ، قالت : كان مروان المحلمى لى جاراً ، وكان قضاياً مجتهداً ، قالت : فمات ، فوجدت عليه وجداً شديداً ، وقالت : فرأيته فيما يرى النائم ، فقلت : أباعبد الله ما صنع بك ربك ؟ قال : أدخلنى الجنة . فقلت : ثم ماذا ؟ قال : ثم رفعت إلى المقربين قلت : فمن رأيت من إخوانك ؟ قال : رأيت الحسن ، وابن سيرين ، وميمونة بن سياه .

قال حماد : قال هشام بن حسان : فحدثتنى أم عبد الله وكانت من خيار نساء أهل البصرة ، قالت : رأيت فيما يرى النائم كأنى دخلت داراً حسنة ،

ثم دخلت بستاناً ، فذكرت من حسنه ماشاء الله ، فإذا أنا فيه برجل متكىء على سرير من ذهب وحوله الوصفاء بأيديه الأكاويب ، قالت : فإنى لمتعجبة من حسن ما أرى إذ قيل : هذا مروان المحلمى أقبل ، فوثب ، فاستوى جالساً على سريره ، قالت : واستيقظت من منامى ، فإذا جنازة مروان قد مر بها على بابى تلك الساعة .

وقال صالح المرى : بلغنى أن الأرواح تتلاق عند الموت ، فتقول أرواح الموتى للروح التى تخرج إليهم : كيف كان مأواك ، وفى أى الجسدين كنت فى طيب أم خبيث ؟ ثم بكى حتى غلبه البكاء .

وقال إبن أبى الدنيا : حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيغ ، أخبرنى فضيل ابن سلمان النميرى ، حدثنى يحى بن عبد الرحمٰن بن أبى لبيبة ، عن جده ، قال : لمَّا مات بشر بن البراء بن معرور ، وجدت عليه أم بشر وجداً شديداً ، فقالت : يارسول الله إنه لا يزال الهالك يهلك من سَلَمة ، فهل تتعارف الموتى ، فأرسل إلى بشر بالسلام ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **نعم ، والذى نفسى بيده يأم بشر إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير فى رؤوس الشجر** » . وكان لا يهلك هالك من بنى سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت : يافلان عليك السلام ، فيقول : وعليك . فتقول : إقرأ على بشر السلام .

عن يحى بن بسطام ، حدثنى مسمع بن عاصم قال : رأيت عاصماً الجحدرى فى منامى بعد موته بسنتين ، فقلت : أليس قد مت ؟ قال : بلى . قلت : وأين أنت ؟ قال : أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزنى ، فنتلقى أخباركم ، فقلت : أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال : هيهات ! بليت الأجسام ، وإنما تتلاق الأرواح [بهذا قال إبن القيم الجوزي] .

مشاهد نورانية

حكى أن بعض الصالحين مر على جماعه ، فإذا بطبيب يصف الداء والدواء ، فقال : يامعالج الأجسام هل تعالج القلوب ؟ فقال الطبيب : نعم ، صف لى داءه . فقال : قد أظلمته الذنوب فقسا وجفا ، فهل له من علاج ؟ فقال الطبيب : علاجه التضرع والإبتهال ، والإستغفار آناء الليل وأطراف

النهار ، والمبادره إلى طاعة العزيز الغفار ، والإعتذار إلى الملك الجبار .
فصاح الرجل الصالح ومضى باكيا وقال : نعم الطبيب أنت أصبت علاج قلبي .

وحكى أن رجلا إشترى غلاماً فقال الغلام يامولاى إن لى معك ثلاثة شروط : **أحدهما** : **أن لا تمنعنى عن الصلاة المكتوبة إذا جاء وقتها** ، **والثانى** : أن تأمرنى بالنهار ما شئت ولا تأمرنى بالليل ، **والثالث** : أن تجعل لى منزلاً فى بيتك لا يدخله غيرى . فقال له الرجل : لك هذه الشروط ، ثم قال الرجل : أنظر فى البيوت فطاف فوجد فيها بيتاً خراباً ، فقال الغلام يامولاى : أما علمت أن الخراب مع الله بستان ، فكان يخدم مولاه بالنهار ويتفرغ بالليل لعبادة ربه سبحانه وتعالى ، فبينما هو كذلك إذ طاف مولاه ذات ليلة فى الدار فبلغ حجرة الغلام فإذا هى منورة والغلام ساجد وعلى رأسه قنديل من النور معلق بين السماء والأرض ، والغلام يناجى ربه ويتضرع ويقول : إلهى أوجبت علىَّ حق مولاى وخدمته بالنهار ، ولولا ذلك ما إشتغلت ليلى ولا نهارى إلا بخدمتك فاعذرنى يارب ومولاه ينظر إليه حتى إنفجر الصبح ورد القنديل وإنضم سقف البيت فرجع ، وأخبر إمرأته بذلك . فلما كانت الليلة الثانية أخذ بيد إمرأته وجاء إلى باب الحجرة فإذا الغلام فى السجود والقدنيل على رأسه فوقفا على الباب ينظران إليه ويبكيان حتى أصبحا فدعا الغلام فقال له : أنت عتيق لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لعبادة من كنت تعتذر إليه فرفع يديه إلى السماء وقال :

ياصاحب السر إن السر قد ظهرا ولا أريد حياتى بعد ما إشتهرا

وخر الغلام ميتاً .

وحكى عن إبراهيم بن الحاكم أنه قال : كان أبى إذا جاءه النوم دخل البحر فيُسبح فتجتمع إليه حيتان البحر يُسبحون معه . وهذا يعنى أن والده كان ينام بمغارة قرب الشاطىء ووصل به الحد الإيمانى إلى أنه كان إذا سبح فإن المخلوقات البحرية تُسبح الله معه بلغتها بكيفية يعلمها الله [وهذه الرواية فى نظرى باطلة] .

وحكى أن ذا النون المصرى رحمه الله دخل المسجد الحرام ، فرأى شاباً مطروحاً مريضاً تحت إسطوانة وله أنين يخرج من قلب حزين ، قال : فدنوت

منه وسلمت عليه ، وقلت له : من أنت ياغلام ؟ قال : أنا غريب عاشق ، فعلمت ما يقول . قلت : وأنا مثلك . فبكى وبكيت أنا ببكائه ، قال : أتبكى أنت ؟ فقلت : أنا مثلك ، فبكى بأعلى صوته ، وصاح صيحة عظيمة عالية فخرجت روحه من ساعته . فطرحت عليه ثوبى وخرجت من عنده لطلب الكفن ، فاشتريت الكفن ورجعت إليه فلم أجده فى مكانه فقتل : سبحان الله ، فسمعت هاتفا يقول : يا ذا النون ... إن هذا الغريب الذى طلبه شيطان الدنيا فما وجده ، وطلبه مالك فلم يره ، فقلت : أين هو ؟ قال : فسمعت هاتفاً يقول : « **فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** »[1].

وحكى عن يحى بن زكريا عليهما السلام ، أنه شبع مرة من خبز الشعير ، فنام تلك الليلة عن أذكاره ، فأوحى الله تعالى إليه : « **يا يحى ... هل وجدت داراً هى خيراً لك من دارى ؟ أو جدت جواراً هو خير لك من جوارى ؟ وعزتى وجلالى لو إطلعت على الفردوس ، وإطلعت على جهنم إطلاعه لبكيت الصديد بدل الدموع ، وللبست الحديد بدل المسوح** » .

وحكى عن خلف بن أيوب أنه كان قائماً فى الصلاة فلدغه زنبور ، فسال منه الدم وهو لا يشعر حتى خرج إبن سعيد فأخبر ، بذلك فغسل ثوبه ، فقيل له : يلدغك زنبور ويسيل منك الدم ولم تشعر به ، فقال : أيشعر بمثل هذا من يكون واقفاً بين يدى الملك الجبار ، وملك الموت على قفاه ، والنار عن شماله ، والصراط تحت قدميه ؟ .

وحكى عن محمد بن المنذر رحمه الله ، أنه كان إذا بكى يمسح وجهه ولحيته ويقول : بلغنى أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع . وقيل[2]: إذا كان يوم القيامة جيء بجهنم تزفر زفرة فتجثو كل أمة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى : ﴿ **وَتَرى كل أُمَّةٍ جَاثِيَة** ... ﴾[3] أى على الركب ، كل أمة تدعى إلى كتابها فإذا أتوا النار سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ، تسمع زفرتها من مسيرة خمسمائة عام ، وكل واحد حتى الأنبياء يقول : نفسى نفسى إلا صفى الأنبياء ﷺ فإنه يقول : « **أمتى أمتى** » وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال ، فتجتهد أمة محمد ﷺ فى دفعها وتقول : يانار بحق المصلين وبحق

---

(١) مكاشفة القلوب للغزالى ، وفى « زهر الرياض » .

(٢) بداية الهداية ، ومكاشفة القلوب . (٣) الجاثية : ٢٨ .

المصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصائمين أن ترجعى فلا ترجع وينادى جبريل عليه السلام أن النار قد قصدت أمة محمد ﷺ ، ثم يأتى بقدح من ماء ، فيناوله رسول الله ﷺ ويقول : « **يارسول الله ... خذ هذا فرشه عليها** » ، فيرشه عليها ، فتطفأ فى الحال ، فيقول ﷺ : « **ماهذا الماء فيقول جبريل عليه السلام : هذا ماء دموع عصاة أمتك الذين بكوا من خشية الله تعالى . فالآن أمرت أن أعطيكه لترشه على النار ، فتطفأ بإذن الله تعالى** »[1]

وحكى أنه كان فى بنى إسرائيل شاب فاسق ، وكان لا يمتنع عن الفسق حتى ضج أهل بلده وعجزوا عن منعه عن فسقه ، فتضرعوا إلى الله تعالى ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : « **إن فى بنى إسرائيل شاباً فاسقاً فأخرجه من بلدهم حتى لا تقع عليهم النار بسبب فسقه** » ، فجاء موسى عليه السلام فأخرجه ، فذهب الشاب إلى قرية من القرى ، فأمر الله موسى أن يخرجه من تلك القرية ، فأخرجه موسى عليه السلام ، فخرج إلى مغارة ليس فيها خلق ولا زرع ولا وحوش ولا طيور ، فمرض فى تلك المغارة ، وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع رأسه عليه وقال : لو كانت والدتى عند رأسى لرحمتنى ولبكت على مذلتى ، ولو كان والدى حاضرا لأعاننى وتولى أمرى ، ولو كانت زوجتى حاضرة لبكت على فراقى ، ولو كان أولادى حاضرين عندى لبكوا خلف جنازتى ، وقالوا : اللهم إغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصى الفاسق المطرود من بلده إلى قرية ، ومن القرية إلى مغارة ، ومن المغارة يخرج من الدنيا إلى الآخرة آيساً من كل الأشياء ، اللهم قطعتنى عن والدى وأولادى وزوجتى فلا تقطعنى من رحمتك ، فإنك أحرقت قلبى بفراقهم فلا تحرقنى بنارك لأجل معصيتى . فأرسل الله تعالى له حوراء على صفة أمه وزوجته وغلماناً على صفة أولاده ، وملكاً على صفة والده فجلسوا عنده وبكوا عليه . فقال : إن هذا والدى ووالدتى وزوجتى وأولادى حضروا عندى ، وطاب قلبه ، ووصل إلى رحمة الله تعالى طاهراً مغفوراً له ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : « **إذهب إلى مغارة كذا فى الموضع كذا ، فإنه مات فيه ولى من الأولياء فأحضره وتولى أمره وواره** » . فلما حضر موسى عليه السلام ذلك الموضع رأى الشاب الذى أخرجه من البلدة

(١) لم أجد له أصلاً .

ومن القرية بأمر الله تعالى ، ورأى الحور العين حوله . فقال موسى عليه السلام : « **يارب ، أما هذا الشاب الذى أخرجته من البلد ، ومن القرية بأمرك ؟** » فقال الله تعالى : « **ياموسى إنى رحمته وتجاوزت عنه بأنينه فى موضعه ، وفراقه وطنه ووالدته وأولاده وزوجته ، وأرسلت إليه حوراء على صفة والدته ، وملكاً على صفة والده ، وحوراء على صفة زوجته ، يترحمون على مذلته فى غربته ، فإنه إذا مات الغريب بكى عليه أهل السماوات وأهل الأرض رحمة له .. فكيف لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين ؟** » .

وروى أنه[1] إذا مات الغريب فى النزاع – السفر – يقول الله : « **ياملائكتى هذا غريب مسافر ، ترك أولاده ووالديه ، وإذا مات لا يبكى عليه أحد ، ولا يحزن** » ثم يجعل الله واحداً من الملائكة على صورة أبيه ، وواحداً على صورة أمه ، وواحداً على صورة ولده ، وآخر على صورة أحد من أقاربه ، فيدخلون عليه ، فيفتح عينيه ، فيرى والديه وعياله ، فيطيب قلبه إلى يوم القيامة .

وحكى عن وهب بن منبه أنه قال : أن نبياً عَبد الله خمسين عاما ، فأوحى الله تعالى إليه « **أنى قد غفرت لك ذنبك** » . فقال : يارب لِمَ غفرت لى وأنا لم أذنب ؟ فأمر الله بعرق له ، أخذ يضرب عليه ، فلم يبت ليلته ، فلما جاء إليه ملك الصبح شكى إليه وجعه ، فقال له الملك : إن عبادة خمسين عاما لا تعدل هذا الألم ، أى لا تعدل شكوى هذا الألم .

وحكى أن مالك بن دينار مرض مرضه الذى مات فيه ، فاشتهى قدحا من العسل واللبن ليثرد فيه رغيفاً حاراً ، فمضى الخادم وحمله إليه ، فأخذه مالك بن دينار ، ونظر فيه ساعة وقال : يانفس قد صبرت ثلاثين سنة ، وقد بقى من عمرك ساعة ، ورمى القدح من يديه ، وصبر نفسه ومات .

وذكر عن شقيق البلخى أنه قال[2]: الناس يقولون ثلاثة أقوال ، وقد خالفوها فى أفعالهم ...

يقولون : نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الأحرار ، وهذا خلاف لقولهم .

---

(١) مكشافة القلوب – للغزالى .   (١) عيون الأخبار .

ويقولون : إن الله كفيل بأرزاقنا ، ولا تطمئن قلوبهم إلا بالدنيا وجميع حطامها ، وهذا أيضاً خلاف قولهم .

ويقولون : لابد لنا من الموت ، وهم يعملون أعمال من لا يموت . وهذا أيضا خلاف قولهم .

وحكى[1] عن زكريا عليه السلام أنه هرب من اليهود فقفوا أثره ، فلما دنوا منه رأى شجرة فقال لها : « **ياشجرة أدخليني فيك** » ، فانشقت الشجرة فدخل فيها ، ثم إلتأمت عليه ، فأشار عليهم إبليس أن يأتوا بالمنشار ويشقوها نصفين حتى يموت فيها ففعلوا كما قال إبليس ، وذلك حيث إعتصم بالشجرة ، ولم يعتصم بالله ، فشق بالمنشار نصفين ، فلما بلغ المنشار دماغه صاح ، فقيل له : يازكريا إن الله تعالى يقول لك لم لا تصبر للبلاء تقول آه ، لو قلتها مرة ثانية لأخرجتك من ديوان الأنبياء [لم أجد للرواية أصلاً] .

لذا روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **يقول الله تعالى[2] ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بي إلا أعطيته قبل أن يسألني ، وأستجيب له قبل أن يدعوني ، ومامن عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دوني إلا أغلقت أبواب السماء عليه** » .

وروى أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ، ويخاف خوفا ، فأرسل الله إليه جبريل عليه السلام فأتاه فقال له : « **السلام يقرئك السلام ويقول لك : هل رأيت خليلاً يخاف خليله** » ، فقال : « **ياجبريل إذا تذكرت خطيئتي ، وفكرت في عقوبته ، نسيت خلتي** » .

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم ، وأسأله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، وأن ينفع به المسلمين إنه سميع الدعاء .

المؤلف

محمد عبد الملك الزغبي

المنصورة في ٢٧ رمضان ١٤١٢ هـ

---

(١) مكاشفة القلوب . (٢) حديث قدسي في إسناده نظر .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٣/٥٣٧٨

الترقيم الدولي ٩٧٧-٥٠٣٨٧-٢٣-